

سماواتنا الوحيه  
الى الاسلام



# الْبَعْدُ الْإِسْلَامِي

تصدرها: ندوة العلماء لکھنؤ (الهند)

Phone : 72938  
73884

REGD. NO. LW/NP 59

**ALBAAS-EL-ISLAMI**  
**NADWAT-LU-ULAMA, LUCKNOW. (INDIA)**

صدر حديثاً :

## صُورَتَانِ مُتَضَادَّتَانِ

لتأنيخ نبوء الرسول الاعظم ﷺ الدعوية والتربوية وسيرة الجليل المثال الاول  
عند أهل السنة و الشيعة الامامية

قلم : سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسن الندوي

هذا الكتاب يعرض وضع المجتمع الاسلامي الاول ( الذي كان هرس  
دعوة النبي ﷺ و تربيته وحده ) في ضوء التاريخ الموثوق به ، ويبين النظام  
النبي الالمى لصيانة الصحفة التي جاء بها الرسول الاعظم ﷺ ، وهو كتاب  
اقه الاخير و الدستور الدائم لحياة الانسان ، و في الكتاب محاولة عظيمة  
لتوضيح الفرق الاساسي بين الموقف الذي يتخذه منشؤ الحكومات ودعاة الانقلاب  
نحو اسرم و عائلاتهم ، و شأن رسول الانسانية ﷺ مع اقاربه و أسرته ،  
و أهل بيته ، مع بيان ما اتصف به أهل بيته و أسرته ، و من كان يتنمى  
إليه ، من اخلاق و سمات يتميزون بها عن أسر العظماء و منشؤ الحكومات ،  
و قادة الشعوب ، و الزعماء ، و فيه أضواء على أهمية عقيدة ، «وحدة النبي»  
و «خاتمته» التي أجمعت عليها الأمة ، و الايمان بأنه هو الشارع و المطاع  
وحده ، منذ ظهور الاسلام حتى تقوم الساعة .

الناشر : المجمع الاسلامي العلي ( ندوة العلماء ) لکھنؤ ( الهند )

قام بالطبع والنشر جميل أحمد الندوي في مطبعة ندوة العلماء - رئيس التحرير : سعيد الأعظمي

أخي القارىء :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

حرصاً على تأمين و سلامة وصول المجلة إليك نرجو :

١- كتابة العنوان بالانجليزية و العربية كليهما في ورقة خاصة ، كل حرف على حدة ، و إرساله إلينا .

٢- إرسال اشتراك بالقيمة المبينة أدناه باسم « البعث الإسلامى » مقابل عام واحد أو أكثر :

٣- إرفاق شيك الاشتراك ضمن مظروف مسجل إلى العنوان المذكور أدناه .

الاشتراكات السنوية

في الهند : ٤٠ روية ، ثمن النسخة : أربع رويات .

في العالم العربى ١٢ دولاراً بالبريد السطحى ، ٢٥ دولاراً بالبريد الجوى .

في أوروبا و أفريقيا و أمريكا : ١٢ دولاراً بالبريد السطحى ، ٤٠ دولاراً بالبريد الجوى .

في باكستان و بنغلاديش و دول شرق آسيا : ١٢ دولاراً بالبريد السطحى ، ٢٥ دولاراً بالبريد الجوى .

ALBAASELISLAMI

NADWATULULAMA

P. O. Box No. 93 - LUCKNOW (INDIA)

العدد القادم

يكون عدد ربيع الأول سنة ١٤٠٦ هـ و سيصدر باذن الله تعالى في أواسط شهر صفر القادم ١٤٠٦ هـ ، فلا يتربق القراء الكرام عدد صفر ١٤٠٦ هـ ، و إلى اللقاء ، إن شاء الله تعالى .  
[ التحرير ]

أششاهنا  
فقيه الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسنى برهان  
في عام ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م



البعث الإسلامى

شهرية إسلامية جامعية

العدد الخامس

المجلد الثلاثون

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمى الندوي  
و واضح رشيد الندوي

محرم الحرام ١٤٠٥ هـ - سبتمبر و أكتوبر سنة ١٩٨٥م

المراسلات:

البعث الإسلامى ندوة العلماء، ص ٩٣ - لکھنؤ (الهند)

ALBAAS-EL-ISLAMI

Nadwat-ul-Ulama, P. O. Box 93,

LUCKNOW (INDIA)



## الافتتاحية :

### الحضارة الغربية و العالم الاسلامى

بين نهاية المطاف و بداية النشاط

مر العالم الاسلامى فى الفترات المتأخرة من خلال تجارب كثيرة ومنوعة أجراها العالم الغربى للقضاء على هويته الاسلامية و هدم شخصيته المتميزة ، و من بين هذه التجارب ما كان يختص بالمسلمين كأمة ذات رسالة ودعوة و منهج خاص للحياة ، ومنها ما كان يتصل بالاسلام تاريخياً و علياً و حضارياً ، ومنها ما كان يهدف لإضعاف العقائد الأساسية و طمس المعالم الايمانية فى القلوب ، التى تتولى لإسلام المرء و بقاءه على الجادة و يتكفل بعضويته فى أسرة الاسلام الواسعة .

لم تكن هناك أداة أقوى تأثيراً و فاعلية من الحضارة الغربية لتذويب المسلمين فى الخصائص و السمات التى تميزهم عن الأمم المادية الأخرى ، وتمنحهم أمية فى الايمان و العقيدة والسلوك و التأثير و الأخلاق و النزاهة ، فجاءت إليهم هذه الحضارة بعلمها و صناعاتها و بأفكارها و منجزاتها ، و حلت بهم كمن يكون ناصحاً يحمل معه جميع مواصفات النصح و الاخلاص ، و يفتح لهم أبواب العلم و الرفاهية والخير والسعادة ، و التقدم فى جميع مجالات الحياة ، فكان من الطبيعى أن يرحب بها الناس و يستقبلوها كضيف و جيه يكون موضع ثقة و إكرام ، دون أن يطلعوا على دخائلها التى كانت معاول الهدم و التدمير لمجتمعات المسلمين ، و فصلها عن منبع القوة و الايمان بطريق خفى و بحكمة لا يكاد يطلع عليها كل إنسان . وقد رأى المسلمون بوجه عام فى هذه الحضارة مبرراً لهم فيما يتعلق بالعلوم و الصناعات و حاولوا الانتفاع بها فى هذه الوسائل البريئة إلا أن الأمر لم يتوقف

## فهذا العبد

### الافتتاحية

الحضارة الغربية و العالم الاسلامى

### التوجيه الاسلامى

صورتان متضادتان للاسلام و المسلمين

الاسلام و أصول الحكم

### الدعوة الاسلامية

المبادئ السياسية و السنة النبوية

### الفقه الاسلامى :

الدعوات الاسلامية بين دعاية و حقيقة

### دراسات و أبحاث

الاهجات العربية : مظاهرها و تمليلها . . .

أبو هريرة رضى الله عنه و صحابى مظلوم و مفترى عليه ،

### الأدب الاسلامى :

الدراسة الادبية فى معاهد ائمة و جامعاتها

حسان بن ثابت الأنصارى و شعره الاسلامى

### صور و أوضاع

حديث مع قائد المجاهدين الأتقان . . .

٣

سيد الأعظمى

١٠

سمحة الشيخ السيد أبى الحسن على الندوى

٢٠

بقلم : الدكتور فهمى الشناوى

٣٤

بقلم : الدكتور عبد اللطيف عباد

٤٤

للشيخ نور الحق الرحمانى

٥٤

الدكتور توفيق محمد شاهين

٦٦

الأخ محمد صدر الحسن الندوى

٧٥

الدكتور محمد راشد الندوى

٨٧

سيد الأعظمى الندوى

٩٨

الأستاذ محمد عبد القدوس

على هذا الحد وامتد تأثيرها إلى العلاقات الاجتماعية، وتزايدت في الشؤون الشخصية و أساليب الحياة، وهكذا توصلوا إلى الإعجاب بها و الرؤية إليها بتقدير و إكبار، وقد تم كل ذلك وفق خطة مرسومة مدروسة من أصحاب هذه الحضارة و حاملي لوائها، وقد تهيأ لها في الأخير جو من القبول، فوجد لها أنصار و متحمسون، و قام لها دعاة مخلصون من الحكام و رجال السياسة و الاجتماع، أولئك الذين تبوأوا نشر هذه الحضارة و تعميمها في حياة المسلمين و اعتبروها ركيزة النجاح و السعادة و التقدم و الرفاهية، و زعموا أن السر في تخلف العالم الاسلامي إنما يكن في تأخره عن هذه الحضارة و تردده في قبول مآثرها الحضارية و الاجتماعية.

وقد مثل هؤلاء المعجبون بالحضارة الغربية دوراً هاماً جداً في تهيئتها إلى قلوب الجماهير المسلمة في كثير من الدول الاسلامية التي كانت تعتبر رمز انتصار للاسلام و تعاليمه، و لكنها بتأثير هذه الحضارة باتت تعيش في أفكار لا علاقة لها بالاسلام، و هي أفكار مادية بحتة صاغت الحياة في قالب من التفكير المادي في كل شئ، و فصلتها عن القيم الاخلاقية العليا التي هي الميزة الكبرى للحياة الاسلامية التي يدعو إليها الاسلام و يضبط عليها في جميع تعاليمه و مناهجه التربوية، نتيجة لذلك فقد ابتعد المسلمون في بلدانهم و مجتمعاتهم الخاصة عن سمات و ميزات الحضارة الاسلامية التي يبنها الاسلام و يرفعها على أسس ثابتة من العقيدة و الايمان و الحب و العاطفة و العدل و الايثار و جميع المثل الخلقية العليا الكاملة.

و من ثم فقد وقع المسلمون فريسة كل تمييز عنصري و جنسي و قومي، و تفرقت أفكارهم و تباعدت نظراتهم، و اختلفت مذاهبهم و تباينت وجهاتهم، و لم تعد لهم تلك الجامعة الموحدة التي جمعتهم عليها العقيدة و الايمان، و قد

حرموا روح الوحدة التي صورها الرسول ﷺ في قوله: « مثل المؤمنين في توادهم و تراحمهم و تعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمى »، و وقف المسلمون من أجل ذلك على شفا حفرة من الهلاك و الدمار، بعد ما أثرت فيهم الحضارة الغربية و قد ملأت قلوبهم بالحق و الخلف و الشقاق، و النفاق و ألوان من الأدواء الخلقية.

وبطبيعة الحال فقد المسلمون ما كانوا يتمتعون به من روح الوحدة و الانسجام و طبيعة الحب و الثقة و النصح، و لعل ذلك هو أول ثمرة أثمرتها الحضارة المادية و آخرها، حيث إن الأمن و السلامة على الأرواح و الأموال و الأعراس أصبح شبه مفقود في مجتمعات المسلمين و عاشوا فيها على فوهة بركان من المخاوف و الأخطار و المتاعب، و واجهوا أوضاعاً متفجرة حتى في أسرهم و بيوتاتهم، و قد طاردتهم أشباح الموت و الاغتيل في بعض المناطق التي استولى عليها عدوهم و إن كان حقيراً، و ذلك ما يعرفه المطلعون على أوضاع العالم الاسلامي الحاضرة، و يجربونها في عدة أجزاء من هذا العالم الذي كان يعتبر دائماً منطقة السلام و الحيا و عدم الانحياز.

أما تجربة الغرب فيما يختص بالدين الاسلامي تاريخياً و علمياً و حضارياً فقد عرفها الناس في محاولات المستشرقين الذين درسوا الاسلام دراسة دقيقة و أتقنوا اللغة العربية و تأملوا في الكتاب و السنة و اطلعوا على تعاليم الاسلام و توجيهاته في الحياة و المجتمع، و تعمقوا التاريخ الاسلامي و السيرة النبوية، و سبروا أغوار حضارته، و كل ذلك بنية الهدم و زعزعة أساس المعتقدات الدينية، و توجيه الطعن و اللعن نحو الاسلام بأشكال متعددة و ألوان مختلفة، و كل ذلك لمجرد إثارة الشبهات حول نقاء التاريخ الاسلامي و السيرة النبوية، و تعكير صفو العقيدة و كبت روح الأخلاق و الفضائل في حياة و مجتمعات المسلمين، و لقد نجح عدو الاستشراق و إن شئت فقل: نجحت تجربة الاستشراق فيما توخته من تشكيك و زعزعة، بادخال آراء واهية في تاريخ الاسلام و سيرته و علومه و حضارته،

دس أفكار و معتقدات ضمن تعاليم الاسلام و توجيهاته النقية ، مما كان له دور ملحوظ في تضليل طبقة من المسلمين و إساءة ظنهم بالاسلام ، و تأكيد النقص و التناقض في الفكر الاسلامي لدى طبقات من غير المسلمين ، الواقع الذي تم به ما قد أراده المستشرقون من تقليل شأن التاريخ الاسلامي و إثارة الجبار حول السيرة و الشريعة ، و إثبات أن الاسلام ليس مما يسعد حياة الانسان أو بينها على أسس ثابتة من العقيدة و الايمان ذات النتائج الايجابية .

و لقد قرض الله تعالى في كل عصر جماعة من أولى النيرة و العلم قامت بالدفاع عن تاريخ الاسلام و علومه و حضارته في ضوء الحجة و البرهان ، و تفنيد آراء المستشرقين و تسفيه أحلامهم فيما اختلقوا من أكاذيب و أباطيل طعنوا بها شخصية الدين الاسلامي العملاقة ، فانهم كشفوا اللثام عن افتراءاتهم و فضول انهم و هذرهم ضد تعاليم و توجيهات الدين الحنيف ( شهد الله أنه لا إله إلا هو و الملائكة و أولو العلم قائماً بالقسط ) و أزاحوا الستار عن الحقد الأسود على الدين و التآمر على هدم معالمه الواضحة النيرة ، و تغيير دين الله بما لم ينزل الله به من سلطان ، و قد اطلع العالم الاسلامي كله على المخططات الاستشراقية ومدى الجهود المكثفة التي بذلت لدس السموم في العسل ، بشئ كثير من الحكمة ، وبالأسلوب العلمي الذي يعجب به المرء و يرحب به .

وقد استكر المسلمون بوجه عام أساليب المستشرقين لتشويه التاريخ الاسلامي و السيرة النبوية و تعاليم الكتاب و السنة ، و قام كثير من النيارى بوضع كتب و بحوث موسعة للرد على مزاعمهم و تحريفاتهم التي تعمدها ثم أثبتوها في خلال مؤلفاتهم و كتبهم ، و لم تعد مؤامراتهم التي نسجوها باسم التحقيق و الدراسة خافية على المجتمعات الاسلامية في أي مكان ، و لما علم بذلك هؤلاء الناس و تأكدوا أن جهودهم العلمية كلها ذهبت سدى و سوف لا ينجحون فيما توخوه من تشويه وجه الدين الاسلامي تاريخياً و علمياً و حضارياً ، فكروا في إيجاد أسلوب

آخر حكيم يتكفل بهدم معنويات المسلمين و يتركهم مقصوصى الجناح في معركة الحياة . و كان ذلك باسم التعديل و التطوير في القوانين الشرعية و أحوال المسلمين الشخصية ، حيث إن زعماء بعض دول المسلمين قد نادوا بذلك ، و حاولوا أن يدخلوا بعض التطويرات في القوانين الشرعية مما يلائم مقتضيات الحياة في العصر الحاضر ، ذاك أن الانسان المعاصر لا يستطيع أن يعيش في العالم الحديث متقيدا بقيود الشريعة التي مضى عليها أربعة عشر قرناً ، فقد كانت الأوضاع في ذلك الأوان غيرها اليوم ، و كما أن كل شئ يتجدد و يتغير كذلك يجب أن يجتهد علماء الشريعة في المسائل المستجدة و القضايا المستحدثة و يبحثوا لها عن حلول ولو كلف ذلك تغييراً يسيراً في قانون الشريعة الاسلامية و أحكامها .

و فعلاً خضعت بعض الدول و المناطق في العالم الاسلامي لمناطق التطوير و التعديل ، و حتى تجاوزت بعض المناطق الاسلامية حدود التطوير فطالبت بتطهير نصوص الكتاب و السنة - والعياد بالله - من الأفكار و الأحكام التي لا تتفق و العقل الحديث ، بل و يرفضها العالم الحديث المعاصر الذي يعتمد فيه الانسان على العقول الالكترونية و يتصرف عن طريقها في شئون الحياة و نشاطات العلم و الحضارة ، و قد أثار مثل هذه الأفكار و النظرات ضجة في بلاد المسلمين و مجتمعاتهم ، و طالب المسلمون بفرض الحظر على حرية التكلم في الشريعة الاسلامية و نشر آراء و أفكار تضاد النظرة الاسلامية الصحيحة و السليمة .

و لكن لم تتوقف موجة التطوير و التعديل هذه و إنما نمت و اتسعت في العالم الاسلامي و مجتمعات المسلمين في كل مكان ، و إن كان أصحاب هذه العقليّة المستعارة قلة قليلة يعدون بالانامل غير أنهم يتولون تحريك أصابع المؤمرات ضد الشريعة الاسلامية بايعاز من ساداتهم و كبرائهم في دول الغرب و الشرق ، و دول اليمن و اليسار ، و دول الرأسمالية و الاشتراكية ، و يستلمون لقاء ذلك مناصب و قيادات و أوسمة الشرف و جوائز النوبل ، و حسبهم ذلك غزراً و اعتزازاً ، و إن عيّد الغرب هؤلاء معروفون في التاريخ ولدى الشعوب المسلمة ، فقد كان

دورهم في السليبات أعرف من أن يعرف .  
 إن سلاطة عييد الحضارة الغربية في نمو مستمر ونشاط زائد في البلدان التي يسكنها المسلمون و المجتمعات التي يعيشون فيها ، وهم يسعون جاهدين بأساليب متنوعة و طرق سرية و جهرية أن يعدوا عقول المسلمين لقبول التعديل في قوانين الشريعة و إعادة النظر في قانون أحوالهم الشخصية و الاجتماعية للتوفيق بين مطالب الانسان في العصر الحاضر و مسؤولياته الشرعية و الدينية ، هذا في الدول التي دينها الرسمي هو الاسلام .

أما في الدول العلمانية و الاشتراكية التي لا دين لها فانهم يطالبون المسلمين بقبول تعديلات في أحكام اجتماعية وروابط عائلية نظراً إلى مبسدة العلمانية الذي يقوم عليه حكم البلاد ، و يحتجون في توطيد دلائلهم بما يوجد في بعض دول العالم الاسلامي من فكرة تماثلة ، و نظرة متشابهة ، و لعل ما حدث في الدول العلمانية من مثل هذه الاتجاهات التطويرية إنما كان أثراً مما وقع في الدول المسلمة و تم فيها من تعديل عملياً و إن لم يكن ذلك بالاعلان و الصراحة .  
 و إنني إذ أسطر هذه الآراء في ضوء الواقع و التاريخ اعتقد أن الحضارة الغربية تشن هذه الحملة على شريعة الاسلام رأساً و بطريق مباشر بعد ماتم لها الفشل في القضاء على المسلمين و التحريف في دينهم الاسلامي تاريخياً و علياً و حضارياً ، و لعل هذه هي الحملة الأخيرة لهذه الحضارة التي شاخت و أئتمت ثمارها الحضارية المرة فصارت رفضاً و كراهية من كل جهة ، و ستهزم الحضارة الغربية في هذه الحملة الشريرة كما فشلت فيما سبقها من هجمات ، و ستعلو حضارة الاسلام التي يتطلع إليها هذا العالم المنكوب الجريح ، و في ذلك يحدد الانسان علاجاً لأدوائه ، و شفاهماً لقلبه ، و مأوى يلبجأ إليه من شقاء الحضارات و الفلسفات و يخرج فيه من الظلمات إلى نور .

( ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور )

سعيد الأعظمي

# التوجيه الإسلامي



متوازيتان عرضناهما في الصفحات السالفة (١)، فهناك صورة تتمثل للعالم في ضوء عقائد أهل السنة، و صورة ثانية تتركب بعقائد الفرقة الامامية الاثنا عشرية وتصريحاتها و من تصورهما الخاص للاسلام، و تفسيرها لتاريخ الاسلام، و شرحها للدين، و كلتا هاتين الصورتين متافرتان و متعارضتان .

والآن نترك الحكم للعقل السليم، فكل من رزقه الله سلامة العقل، وجدارة الانصاف، و الفرصة المواتية للاطلاع على التاريخ الانساني، يستطيع ان يحكم بكل سهولة في الصورة التي تصلح للدين وتتفق معه، ذلك الدين الذي ارسله الله الى العالم كافة، رحمة و هداية للناس، و الذي يدعى انه صالح للعمل به في كل زمان و تظهر منه نتائج باهرة لحياة الانسان، ذلك الدين الذي يعتقد و يعلن ان النبي الذي حمل هذا الدين الى العالم كتب له اكبر نجاح في مجهوداته بالذنبه الى غيره، و كان عهد في تاريخ هذا الدين و دعوته اسعد و ازهر من كل عهد آخر ( و ينبغي ان يكون كذلك في ضوء العقل و النقل ) و اى صورة تكون افضل و انفع و اعظم مفضرة للانسانية التي يزخر تاريخها في معظم الاحوال بالتطلع الى اسباب الاكل و الشرب، و الترف و النعمة و القتال في سبيل اغراض شخصية و قومية، و السعي وراء الفوز بالسلطة و الحكم، ثم استقلالها في خدمة مصالحها و مصالح اتباعها .

و ان الاسلام في عهده الاول لم تقم فيه حياة الافراد لحسب على أسس المبادئ الثابتة و الهداية العامة و السعادة البشرية، بل ان مجتمعا انسانيا بأسره، و المدنية و نظام الحكم و اسلوب الحياة، كل ذلك قام على هذه الاسس، و كان تاريخه تصديقا لما قاله الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز في إحدى المناسبات : « ان محمدا ﷺ إنما بعث هاديا، و لم يبعث جانيا (٢) » .

(١) في كتابنا الجديد « صورتان متضادتان » .

(٢) كتاب الحزاج للإمام أبي يوسف ص - ٧٥ .

## صورتان متضادتان للاسلام و المسلمين

في العهد الاسلامي الاول

سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي

كيف كان عهد الاسلام المثالي الاول، وما هي النتائج العملية لتعليم اعظم الانبياء و آخرهم ﷺ، و تربيته؟ و كيف كانت سيرة اولئك الرجال الذين كانوا قد تربوا في احضان النبوة و مدرستها، هل كانت سيرتهم تتميز عن سيرة مؤسسي الحكومات الشخصية و الطامعين في السلطة أم لا؟ كيف كان شأنهم مع قراباتهم، و كيف كان عمل هذه القرابات نفسها في استقلال شخصيتها العظيمة و المقدسة، كيف تتجلى سيرة أهل البيت و منهمجهم في دعوتهم الى الدين و إعلان الحقيقة و الصدق، و في العمل بالزيمية؟ ثم كيف كان وضع علاقات هذه الطائفة من المسلمين الاولين، و تلاميذ مدرسة النبوة فيما بينهم ( بجميع من سعدوا بصحبة النبي ﷺ الذين يعرفون بالصحابة، و أعضاء أسرته الذين يلتقون بلقب أهل البيت ) و الذين تولوا زمام الخلافة و السلطة في هذا العهد المثالي ( و هم الخلفاء الراشدون ) كيف كانت حياتهم في ضوء التاريخ الموثوق به، و معاملتهم مع خلق الله تبارك و تعالی في حدود حكوماتهم الواسعة، و كيف كان مستوى معيشتهم في الحياة المنزلية و الشخصية مع توافر السلطة الشاملة، و اتساع الامكانيات و وسائل الرفاهية و الراحة و الترف؟ وما حقيقة صحة الصحيفة السجادية التي يقوم عليها أساس الدين بكامله، و مدى صحتها؟

في ضوء الردود على هذه الاسئلة تتمثل أمام الاعين صورتان متضادتان

بالعكس من ذلك فان صورة المسلمين الأولين التي تبرز للعيون في ضوء معتقدات الفرقة الامامية و تصريحاتها تثير تساؤلا في نفس كل مثقف ذكي بحق ، و هو أن الدعوة الاسلامية إذا لم تتمكن من التأثير العميق في الحياة أيام ازدهارها على يد داعيتها الأعظم ، و إذا كان المؤمنون بهذه الدعوة لم يستطيعوا البقاء على الجادة القويمة ، و لم يعودوا أوفياء لدعوة نبيهم ﷺ مع وفاته و ذهابه إلى الرفيق الأعلى ، و لم يبق على الصراط المستقيم الذي ترك عليه النبي ﷺ أتباعه ، إلا أربعة معدودة فقط ، فكيف نسلم أن هذا الدين يصلح لتزكية النفس الانسانية ، و تهذيب الأخلاق ، و أنه يستطيع أن ينقذ الانسان من الهمجية و الشقاء ، و يرفعه إلى قمة الانسانية .

هب أن مثلا للاسلام يلقى محاضرة بليغة ساحرة حول صدق الاسلام في أي عاصمة غربية أو بلد غير مسلم ، و في خلال المحاضرة يقوم رجل و يقاطعه قائلا : عليك بنفسك و دينك أولا أيها الرجل تفقدتهما في ضوء التاريخ ، فما دامت نتيجة جهودات نبيكم المفضية في سبيل هذا الدين التي دامت ثلاثا و عشرين سنة أن اهتدى إلى طريقه أربعة أو خمسة أشخاص لحسب ممن ظلوا قائمين بالدين ، فكيف يسوغ لكم أن توجهوا دعوة الاسلام إلى غير المسلمين و ماذا يضمن ثباتهم و استقامتهم إذا أسلبوا ؟

هل يمكننا أن نرد على هذا السؤال ؟ ؟

استقامة الامام الخميني على معتقدات الشيعة  
و إظهارها ، و الدعوة إليها جهاراً :

ولما قام آية الله روح الله الخميني بالدعوة الاسلامية قبل أعوام عديدة ، وأسس الحكومة الاسلامية - كما يزعم - بقاب نظام الماكة البهلوية ، وبدأ بها عهداً

جديداً ، توقع الناس - وقد توافرت لذلك علامات و دلائل - أنه لكي يعمم دعوته و يكسب إعجاب الناس و قبولهم سوف لا يفتح صفحات تاريخ الخلافات المستمرة القديمة بين الشيعة و أهل السنة ، و إذا لم تتمكن من سحبها من كتابه فلن يفتحها من جديد على أقل تقدير ، و كانوا يتوقعون أنه إذا كان لا يستطيع أن يعلن برأيه عن معتقدات الفرقة الامامية نظراً إلى مصالح سياسية أو محلية ، فعلى أقل تقدير لا يقوم باعلانها و إظهارها ، بل كان يتوقع من زعيم ديني جريئ شجاع مثله - الذي استطاع بجراته و بصرف النظر عن العواقب و النتائج ، و بخطابته و تصريحاته الساحرة ، أن يطيح عرش المملكة البهلوية التي عرف العالم وفرة قواتها و تدبيراتها الهائلة لتوطيد دعائمها - أن لا يتأخر على أساس دراسته و فكره العميق توخياً لتوحيد صفوف المسلمين و من أجل جراته الخلقية في إعلان الحق ، أنه لا مجال الآن لهذه المعتقدات و لا حاجة إليها ، المعتقدات التي تزعم أساس الاسلام ، و تنال من سمته و قيمته في العالم و التي هي عائق كبير (١) في سبيل توجيه دعوة

(١) لأن مفاد هذه المعتقدات أن جماعة الصحابة الكرام رضی الله عنهم التي بلغ عددها في حجة الوداع فقط إلى أكثر من مائة ألف صحابي ، ما بقي منهم على الاسلام ، إلا أربعة فقط بعد ما لحق النبي صلى الله عليه و آله وسلم بالرفيق الأعلى ، أما غير هؤلاء الأربعة فكلمهم سلكوا مسلك الردة و العباد بآله ، و القرآن محرف بكامله ، و كان أئمة أهل البيت ( من وجهة النقية التي تعتبر واجبا دينيا و عزيمة ) كائمين للحق ، و المغيبين للقرآن ، بعيدين عن كل خوف و خطر ، و يلقنون أتباعهم ذلك ( أنظر الكتب الموثوق بها للفرقة الاثنا عشرية كأصول الكافي ، و فصل الخطاب ، و مؤلفات الامام الخميني نفسه ، مثل كشف الأسرار ، و ما إليه ) .

الإسلام إلى غير المسلمين، تلك المعتقدات التي أنتجت مؤامرة خطيرة مناوئة للإسلام منذ القرن الأول وعهد الصحابة، والتي تحققت نتيجة لدافع أخذ الثار للإمبراطورية الفارسية القائمة من قرون طويلة، بادت على أيدي العرب المسلمين، وكان المقول أن يقول بصراحة يجب علينا أن ننسى الماضي لإعادة سلطة الإسلام وقوته، ولإصلاح الأقطار الإسلامية للقضاء على فساد المجتمع المسلم، حتى تبدأ صفحة جديدة، تتمثل فيها صورة الإسلام الماضية، والحاضرة المشرقة، وتقبل شعوب العالم الأخرى على الإسلام.

ولكن بالعكس من جميع الآمال والآثار والدلائل تمثلت أمام الناس رسائله وكتبه وكتاباتاته الصادرة من قلبه، تحدث فيها بكل قوة وصراحة عن نفس تلك المعتقدات الشعبية، إن كتابه «الحكومة الإسلامية» و«ولاية الفقيه» يتضمن أفكاراً عن الإمامة والائمة ترفهم إلى مكانة الألوهية، وتثبت أن الائمة أفضل من كل نبي وملك، وأن هذا الكون خاضع لهم وتابع لسلطتهم بطريق تكوي، (١) وكذلك كتابه الفارسي «كشف الأسرار» لا يتناول صحابة الرسول ﷺ (ولا سيما الخلفاء الثلاثة) بالجرح والنقد فحسب، بل ينطوي على كلمات السب والشتم الموجهة لإيهم التي يمكن أن تطلق على جماعة ضالة مضللة فاجرة فاسقة، زائفة مزيفة ذات مؤامرات (٢) وكلا هذين الجانبين المضادين يسيران دعوته، وليس ذلك كتعليمات سرية أوفى صورة رسائل خاصة، إنما هو مطبوع و منشور في الرسائل العامة.

الإمام الخميني، أنصاره والمعجبون به  
و صرف أنظارهم عن العقيدة :

إن هاتين الفكرتين للإمام الخميني (فكرته عن الإمامة والائمة، وتوجيه الطمن والنهم الموجهة إلى الصحابة الكرام رضي الله عنهم) لم يعد أمراً خافياً،  
(١) الحكومة الإسلامية ص - ٥٢ .

(٢) كشف الأسرار (بالفارسية) ص ١١٢ - ١١٤ .

بل إن رسائله هذه قد وزعت في إيران وخارجها بعدد هائل يبلغ مئات الآلاف، وبناءً على ذلك، فقد كان من المتوقع أن دعوته سوف لا تقال قبولاً وإعجاباً في طبقة المسلمين السنيين (وهي الكثرة الغالبة في المسلمين) بل ترفض رفضاً باتاً، خصوصاً بعد ما ثبت زيف معتقداته وأساسه ونقضه لعقيدة التوحيد الأساسية للامة الإسلامية، وعقيدة المشاركة في النبوة (التي هي النتيجة الحتمية المنطقية لتعريف الإمامة وامتيازات الائمة) وبعد ما تحقق طعنه وتجرمه اشخصيات الصحابة الكرام رضي الله عنهم، الذين يحتلون أرفع محل في قلوب المسلمين بعد رسول الله ﷺ في الحب والتعظيم، وكان عهد حكمهم أمثل عهد وأفضل نموذج للحياة، لا في تاريخ الإسلام فقط، بل في التاريخ الإنساني في العالم كله (في ضوء التاريخ الموثوق به، وعلى إجماع من شهادة المؤرخين المسلمين وغير المسلمين) كان من المتوقع أن لا يعتبر الإمام الخميني بعد ذلك كله حامل لواء الثورة الإسلامية ومؤسس الحكومة الإسلامية ومنشئها، والقائد المثالي لدى المسلمين السنيين على أقل تقدير، ولكن الذي يبعث على الأسف والاستغراب أن بعض أوساط المسلمين التي تحمل لواء الفكر الإسلامي وتمنى للإسلام الأزدهار والغلبة وتدعو إليه، أحلته محل «الإمام المنظر»، وأبدت له من الإعجاب والحب ما بلغ إلى حدود العصية حيث لا تحمل كلمة انتقاده في أي حال، ولقد بلغت بنا التجربة والمشاهدة إلى تقدير أمرين :

أهمية العقيدة في الإسلام، و النتائج

الخطيرة لصرف النظر عنها :

١ - لم يعد مقياس المدح والذم والانتقاد والتفريط في أوساط كثيرة، هو الكتاب والسنة، وأسوة السلف، وحمية العقائد والمذهب، بل إن إقامة

حكومة مضافة باسم الاسلام و الفوز بالقوة ، أو توجيه محمد إلى معسكر غربي و لإحداث المراقيل في طريقه ، يكفي لمن يتولى ذلك أن يكون قائداً محبوباً و مثالياً .

٢- تفقد العقيدة أهميتها لدى جيلنا الجديد المثقف إلى حد خطير جداً ، و ذلك واقع يبعث على القلق و الاضطراب ، فان العقيدة هي الخط الفاصل بين دعوات الانبياء ، و مقاصد مجهوداتهم و عواملها ، و بين دعوات غيرهم و مقاصد جهودهم ، تلك العقيدة التي لا يرضى الانبياء و خلفاؤهم بالمساومة أو التفاوض عليها بأكثر من ، إن مقياس الرفض و القبول و الاستحسان و الاستهجان و شروط الفصل و الوصل عندهم هي العقيدة ، و هذا الدين الذي لا يزال موجوداً بصورته الاصلية ( على الرغم من ضعف المسلمين ) إنما هو مدين في بقاءه و استمراره للاستقامة و الصلابة و الحمية و الغيرة في شأن العقيدة ، فان حملة الدين و دعائه لم يستسلموا في هذا المجال أمام أي قوة أو جبروت أو امبراطورية واسعة ، و لم يرضوا بالسكوت على عقيدة أو دعوى خاطئة فضلاً عن أن يكونوا قد قبلوها أو وافقوا عليها لمصلحة دينية للاسلام و المسلمين ، أو طمعاً في التفادي من خلاف و شقاق ، إن محمود الامام أحمد ابن حنبل ( م ٢٤١ هـ ) و مقاومته و صبره على ضرب الشياطين ، و آلام التعذيب في السجن من أجل إنكاره على عقيدة خالق القرآن تجاه حاكمين مسلمين ، بل لإزاء حاكمين من أكبر حكام ذلك العصر ، و هما الخليفة مامون الرشيد ابن هارون الرشيد ، و الخليفة المعتصم بن هارون الرشيد ، و كذلك معارضة الامام أحمد الفاروق السمرقندي ، رحمه الله ( المعروف بمجدد الألف الثاني في الهند ) ( م ١٠٣٤ هـ ) لأعظم امبراطور في عصره ، وهو الامبراطور

« أكبر » ضد عقيدته بالآلاف الثاني ، و دعوى الامامة و الاجتهاد و وحدة الأديان التي نادى بها ، ثم استمرار الامام على ذلك وإصراره عليه إلى عهد جهاتكثير حتى تغير مجرى الحكومة المغولية (١) مثالان للاستقامة و الصلابة في العقيدة و الغيرة عليها ، و إلا فان تاريخ الاسلام زاخر بحكايات رائعة لكلمة حق عند سلطان جائر ، و العمل بحديث « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » ، إن هذا السلطان الجائر قد يكون ملكاً شخصياً ، وقد يكون الرأي العام ، وأحياناً « الشهرة العامة » و أخرى انتصارات مغرية و دعاوى مدوية ، و يشهد التاريخ و التجربة أن المواقف الاخيرة أكثر ابتلاءً و محنة .

الواقع أن تعاليم الاسلام الحقيقية و العقيدة السليمة الصحيحة ، هما النهران اللذان لا يتغير مجراهما في أي حال ، و لا يغور ماؤهما في أي حين ، أما القوى السياسية ، و الثورات الطارئة ، و وجود الحكومات و نهايتها ، و الدعوات و التحركات ، كلها بمثابة الأمواج التي تنشأ و تتلاشى ، إذا كان النهر جارياً نحو الوجهة الصحيحة ، و يكون الماء صافياً جارياً فلا خطر عليه ، ولكن العقيدة إذا تسلسل إليها الفساد فمضى ذلك أن النهر قد تغير عن مجراه الصحيح و حل فيه الماء العكر محل الماء الصافي ، لذلك فانه لا يجوز الخوض أمام أي دعوة أو حركة ، و أمام أي ازدهار أو تقدم لبلد ، و أمام أي إصلاح جزئي لمجتمع ، أو دعاوى و وعود بإصلاح فساد يتظاهر بها أحد ، مع فساد العقيدة و وجود الزيغ و الضلال ، إنها حقيقة يمكن وراها سر بقاء الملة و صيانة الدين وهي الحقيقة التي تفلق علماء كل عصر ، و حفظه

(١) للاطلاع على التفاصيل في هذا الموضوع ، راجع « رجال الفكر و الدعوة

في الاسلام » الجزء الثالث الخاص بالامام السمرقندي ، طبع دار القلم الكويت .

الشريعة و السنة في كل زمان ، وترغهم في بعض الاحيان على اداء مسئوليتهم التي لا تمد عاقبتها ، و الى ذلك يشير الحديث الشريف :

« يحمل هذا العلم من كل خلف عدوه ، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين و تأويل الجاهلين (١) » .

العوامل النفسية و السياسية للسر و التأثير :

من أجل ذلك الانتصار الذي أحرزه الامام الخميني على امبراطورية الشاه محمد رضا بهلوي ، و من جراء تلك الثورة التي حدثت في المجتمع الايراني بشكل خاص ، و إخفاق أمريكا في بعض المراحل التي هي اكبر قوة في العالم اليوم ، وما شاع من روايات الحماس و التفاني في الشباب الايراني ، مع تدمير طبقة كبيرة من الشباب المسلم في العالم الاسلامي من ذلك الانحطاط الخلق و الديني و الأوضاع السيئة و مواضع الضعف التي تسود على عدة دول مسلمة و عربية ، و أصبحت شعارا لها ، و إعجاب هذه الطبقة من الشباب بكل ما يصادفونه من شهامة و طموح و مقاومة يقترن بها اسم الاسلام ، من جراء هذه الأسباب كلها : ينال منهم الامام الخميني إعجابا يشبه ما قد ناله من الإعجاب فيما مضى « كال أتاتورك » و في أوساط القوميين العرب « جمال عبد الناصر » ، و لا يزال قادة و حكام يتمتعون بإعجاب بعض الأوساط ، ممن ينكرون السنة علنا و جهاراً ، و يستهزؤون بالحديث النبوي الشريف ، و يدعون إلى الأخذ بالحضارة الغربية جملة و تفصيلا ، و يحملون أفكار الشيوعية .

و لكن الخميني ينال من هذا الإعجاب و القبول قسطاً كبيراً ، نظراً إلى ما

(١) مشكاة المصابيح ص ٣٦ الفصل الثاني ، و الجامع الكبير للسيوطي ج ١

يتجلى فيه من لون ديني ، وقد بلغ أمر الإعجاب بهؤلاء المعجبين إلى حد أنه إذا أثير موضوع العقيدة ، و أشير إلى ما أجمعت عليه الأمة ، و عرض هذا المقاس لم يطبقوا سماعه ، و كادوا يفقدون آرائهم ، و يلفون في الاسفاف و الكراهية ، و الغيظ إلى حد الابتدال .

إن هذه الظاهرة تبعث على قلق شديد نظراً إلى مستقبل الدين و روح الاسلام . و هذا الاشفاق الذي يستند إلى تجارب عملية و دراسات شخصية ، اضطرنا إلى كتابة هذه السطور .

« ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب (١) » .

( صورتان متضادتان )

عند أهل السنة و الشيعة الامامية



## الاسلام و أصول الحكم

( ١ )

بقلم : الدكتور فهمي شناوي

ليس هذا ردا على ما كتبه المرحوم الشيخ علي عبد الرازق ، فان ما كتبه الشيخ هو ترداد لما ورد في كتاب كمال أقاتورك مبرراً به إلغاء الخلافة ، ثم هو ترداد أيضاً لما كتبه أرنولد المستشرق السياسي في كتاب الخلافة و ما كتبه مارجليوث الصهيوني ، وقد قال المؤرخ ، ييبرس : إن الشيخ أمضى سنة كاملة يقتلذ فيها على هذين المستشرقين ، هو ترداد إذن للحجج المتأمرين على الخلافة و أتباعهم ، و ما قيل من أن الملك فؤاد كان طامعاً في الخلافة و أن هذا الكتاب هو لطمة لجلالته لزعم يكذبه انهاء الشيخ و أسرته إلى الملك قبل و بعد الكتاب وكون هذا الملك العربة في يد بريطانيا التي قال قائدها النبي : اليوم انتهت الحروب الصليبية عندما هزمت تركيا في القدس عام ١٩١٨ وكون الملك نفسه فقيراً مادياً داخل بيته وقتئذ يسمى إلى المال ، و فقيراً إلى النفوذ الأدبي في العالم الاسلامي لدرجة يستحيل بها قبوله . وكتاب علي عبد الرازق هو دعاية للمؤلف وحرية القول دون أن ينصف الموضوع .

هل الاسلام دين وليس دولة . إذا كان الأمر كذلك فالأمر أخطر من أن يكون هو موضوع كتاب فقط ، لأنه يعني أنه خلال ١٤ قرناً كاملاً لم يفهم أحد من المسلمين هذا الاسلام فقد ظل الاسلام له دولة طوال ١٤ قرناً .

و أول هؤلاء الذين يجردون من الاسلام هم الخلفاء و الصحابة .

أم أن الحقيقة أن الدين قائم على الدولة ، يرتكز على الدولة ويستند عليها ولا يقوم إلا بها ولا يطبق إلا بها ولا يحفظ إلا بها .

بل إن الدين لا يطمئن إلا بالدولة بل إن أكثر من الاطمئنان أنها علاقة

( ٢٠ )

جسد بالروح ، و الدين بلا دولة روح بلا جسد لا يمكن في الأرض بين البشر ولا يعيش بين الناس كما لا تعيش بينهم الأرواح .

هل الذين يوعمون أن لا أصول للاسلام في الحكم يريدون أن يخرجوا الروح من الجسد ؟ حقاً إن الدولة كغاية ليس لها وجود في الاسلام لا في القرآن و لا في السنة و لا في الحديث و لا في نصوص الأئمة .

أى أن غاوية الدولة في الاسلام منعدمة تماماً ، ليست الدولة غاية في الاسلام . هذه حقيقة ، ولكن استعمل عبد الرازق و مرجليوث و أرنولد هذه الحقيقة في الوصول إلى باطل ، نعم إنها ليست غاية في الاسلام بل الشرع هو الأصل في الاسلام ، الشرع لا الدولة ، الدولة وسيلة عارضة فقط ، أركان الاسلام ليس بينها الدولة ، العقائد و الأخرويات ليس بينها الدولة ، كل هذه المفاهيم كانت مفهومة لدى الصحابة يوم وفاة النبي ﷺ . لم تكن غاوية عن أذهانهم حتى يكون اكتشافها أرنولد و مرجليوث و عبد الرازق .

ومع ذلك فالصحابة جميعاً - وهم جماعة المسلمين وقتئذ - أجمعوا على الخلافة كشكل للدولة ، ولو أن أرنولد و مرجليوث و عبد الرازق أرادوا الحقيقة العلمية إذن لقالوا إن جماعة المسلمين اليوم لها أن تجمع على شكل من الدولة غير الخلافة مثلاً و لكن لا بد من دولة ، إذن كان يعني هذا القول تبريراً لهدف بريطانيا و كمال أنا تورك و كان دون أن يخرجوا على الاسلام ، أما القول بلا دولة تماماً فهذا نوع للروح عن الجسد تماماً .

ولنا ملحوظة من التاريخ المعاصر : في الوقت الذي عابوا على المسلمين أن يكون لهم خلافة أصبح لاسرائيل خلافة كاملة على يهود العالم يدبنون لاسرائيل كدولة أم ، و إسرائيل تتدخل في كل مكان في العالم لصالح فرد أو جهة

)

وهنا كان التطبيق اليهودي للخلافة تطبيق فكرة لا تمجيد شخص ، تطبيق مؤسسة سياسية تربط كل يهود العالم دون أن يكون هناك شخص مقدس ظلاله في الأرض ، فكرة الجامعة الاسلامية طبقوها بينهم كرابطة يهودية ، أما شخص الخليفة فبدلاً من قدس بن جوريون أو موسى ديان استفادوا من تجربة أوروبا في تعدد الأحزاب و الانتخاب الحر و اختيار رئيس وزراء يراقبه البرلمان .

هذه هي التجربة اليهودية في تطبيق نظام الخلافة ، طوروا الفكرة مستفيدين مما هو حسن في نظام الخلافة وما هو حسن في البرلمانية الغربية .

ويلاحظ أن بريطانيا التي هندست عملية هدم مؤسسة الخلافة عن طريق إثارة العرب ضد مؤسسة الخلافة سواء بثورة حسين بن علي المعروفة أو بكتاب علي عبد الرازق هي نفسها بريطانيا التي هندست في نفس اللحظة إنشاء إسرائيل باعطاء وعد بلفور ، و كأنها أشرفت بنفسها على سلب ما هو متميز لدى السياسة المسلمة ونقلتها إلى اليهود .

و هذا السلب من ناحية والمنح من ناحية هو دليل عملي على خطأ وتدليس مخطط له سياسياً وراء كتاب علي عبد الرازق .

فتاوى مضللة :

من الأسلحة الحاسمة التي يستعملها خصوم الحق إصدار فتوى لتحل حراماً أو تحرم حلالاً ، فالفتوى التي استخدمت لتبرير ادعاء أرنولد ، عبد الرازق ، مرجلوث ، هي أن القرآن و الحديث تركا قضية الدولة دون نص ، و هذا صحيح و أزيد عليه أنهما تركا قضية الدولة بدون نص همدأ لا سهواً ، ونقد هذا الدفع بأمر ثلاثة :  
 ١- إن القرآن و الحديث تركا جمع المصحف بدون نص ، بل تعهد الله بحفظ القرآن تعهداً صريحاً ومع ذلك كان جمعه بركة وخيراً ، ويلاحظ أن عدم جمعه

قد تجاوز القرآن و تجاوز الحديث و أيضاً تجاوز أبا بكر و عمر و لم يجمع إلا في عهد عثمان ، وإذن فيجوز الاجتهاد فيما فيه صالح الأمة الآن ، أو غداً .  
 ٢- أن القرآن و الحديث تركا قضية الدولة حتى يمكن أن تتغير على مدى التاريخ و تتشكل بأشكال متعددة و لا تأخذ صورة واحدة ملزمة ، نص القرآن على شيء واحد و حدد صورة واحدة وطامة ، و هي أنه جعل الانسان خليفة لله في الأرض ، وهذه أعلى صورة لتمجيد الانسان و إعزاز الانسان ، و هذا هو المقصود من الدولة ، أو هي مهمتها الأولى : أن تعز الانسان و تمجده و تكرمه ، وكلما كان نظام الدولة أقدر على هذا الاعزاز و التكريم كلما وجب التغيير .  
 غنى عن القول أن الانسان يستحيل تاريمه و لا إعزازه و لا تمجيده بدون دولة ، و هذا هو الملاحظ حالياً ، بمجرد اختفاء دولة الاسلام - حتى لو كانت عرجاء - ذل المسلمون وضاعت كرامتهم و انتهى بخدم .

وغنى عن القول أن مهمة الحياة في الفكر الاسلامي هي صيانة الانسان و المحافظة عليه هو نفسه ، أما الله فغنى عن العباد ، إذا كانت المهمة المنوطة في الحياة هي الصيانة فان مهمة الآخرة هي السعادة ، سعادة الانسان الذي استجاب للاسلام .

و السؤال إذن يكون : كيف يصون الانسان نفسه و بقية افراد الانسانية بدون دولة . و خصوصاً في زمن « الدول » لا مجتمع الأفراد ، و خصوصاً في زمن دول تملك أجهزة كبت و قمع و إفقار ، و خصوصاً في زمن دول عظمى .  
 إن المطلوب إذن للانسان المسلم هو دولة على مستوى أكبر الدول العظمى على الأقل .

٣- يمكن تبرير عدم ذكر القرآن و السنة لشكل معين من الدولة بأن الدولة في المجتمع الاسلامي أساساً هي دولة إقطاع لا دولة إكراه ، فالمفروض أن المسلم يصل

وبصوم ويحج ويدفع الزكاة تلقائياً و بالاقتناع الذاتي ، و مفروض عليه أن يوسع الثغور و يدافع عن مسلمي الأرض ويشغل نفسه بالاسلام السياسي تلقائياً و بالاقتناع الذاتي .

و كان هذا الاقتناع الذاتي هو الذي يدفع الزاني إلى الاعتراف العملي و طلب الحد فما بالك بالمستقيم وما بالك بالمتدين .

ولكن إذا غاب الاقتناع الذاتي فلا بد إذن من دولة ، لم تتجاوز مظاهر الدولة في أول نشأتها أكثر من عصا في يد عمر بن الخطاب ( درة عمر الشهيرة ) أما قبل ذلك فكان هناك اقتناع ذاتي لدرجة أن أسامة بن زيد الصبي يرأس جيشاً يسير في صفوف عسكره على قدميه خلف راية أسامة كل من أبي بكر و عمر ، ولدرجة أن كل فرد أمي في جيش النبي و أبي بكر كان يحمل الغنائم كاملة إلى القائد بعد المعركة دون أن تسجل حادثة اختلاس واحدة .

ولو حاولنا تقصى صور الاقتناع الذاتي لانبهرنا و باهينا الملائكة .

فاغفال القرآن و الحديث النص على الدولة لإخفال متعمد ليخلق دولة الاقتناع لا دولة الاكراه ، و دولة الاقتناع هذه لن تمنع أبداً في وجود نظام حكم أما دولة الاكراه التي كانت قائمة عندما كتب أرنولد ، عبد الرازق ، مرجليوث ، مزاعمهم ، فالمقصود من التحلل منها زيادة كفة الباطل .

لو أنهم قالوا نريد دولة إقناع بدلا عن دولة إكراه لالتسناهم عذراً .

الدولة في خدمة الانسان :

قلنا إن الغرض من الحياة في الاسلام هو صيانة الانسان حتى يستطيع أن يؤدي مهمة خليفة الله في الأرض ، و أن الغرض من الآخرة هو إسعاد الانسان على تأدية هذا الدور .

إذن فالدولة نفسها في الاسلام تختلف عن الدولة في غير الاسلام ، الدولة في الاسلام يجب أن تكون دولة في خدمة الفرد المسلم لا دولة الاكراه والكبت والملاحقة . و هذا الدور دور الخدمة هو شرف للدولة ، لأن الشرع ذاته هو في خدمة الانسان ، و الدولة هي مساعدة لهذا الخادم فقط و لا تخرج على أوامره ، و الدولة هي التي تحاول إقناع الفرد المسلم بصدق خدمة الشرع له و باخلاص الشرع في خدمة الفرد المسلم .

أما أن الشرع في خدمة الانسان فأمر يجب أن يسلم به لأنه جوهر العلاقة بينهما ، و لأنه يختلف تماماً عن جوهر العلاقة المعتادة حالياً بين الفرد و التشريع الوضعي ، حيث يلزم الفرد بالتشريع الوصفي حتى لو جهل به وحتى لو انضح خطأ قانون وصار استبداله فيما بعد ، وحتى لو أخطأ القاضي وحتى لو أخطأ المشرع الواضع لنص القانون ، وكلها احتمالات لا تقل نسبتها عن ٥٠٪ إطلاقاً .

سوف يحتاج السفسطائيون و الجدليون بأن الشرع في الاسلام لا يتغير بينما الدولة تتغير ( الدولة من دال يدول ) فكيف يكون المتغير في خدمة غير المتغير ، نقول بل هذا هو المطلوب ، فأنت تركب حصاناً حتى إذا هلك أبدلته بحصان آخر وهكذا إلى أن تنهي رحلتك .

و من ثم لم يكن للدولة نص في القرآن و الحديث حتى لا تدوم لها صورة مقدسة وثابتة ، ومع ذلك فيمكن القول في حدود محدودة أن الشرع يغير نفسه بنفسه لكي يظل في خدمة الانسان ، فعندما يمنع عمر حد السرقة في عام الجماعة إنما يقرر أن الشرع في خدمة الانسان ، وهاهو الانسان الآن جائع ، فلا تكون خدمته بقطع يده ، إنما بتوفير الرغبة أولاً .

ولكن هذا التغيير من يتحمل مسؤوليته البالغة الخطورة ؟ لا أحد إلا دولة

الاسلام الخالصة ، الولاء للاسلام لا لاي فقيه فرد ولا لاي قانون متفق .

لماذا سهل ضرب الدول ؟

الواقع ان ضرب فكرة الدولة صوماً ومهاجمة الخلافة خصوصاً تعود بالكامل إلى دهاء السياسة البريطانية في تديرها عملاً حريياً هو ثورة الشريف حسين وعملاً ثقافياً هو كتاب علي عبد الرازق ، و لكن الذي سهل لها ضرب فكرة الدولة هو التصوف المزعوم وغلبة الاهتمام بالعبادات والطقوس عن الاهتمام بالاسلام السياسي . وحتى المتصوفة المزعومون اساءوا فهم التصوف وغيبوا وعيهم السياسي ، وأخبت المستشرقين هم الفقه التي درست التصوف الاسلامي - كما يقولون - ، وجعلوا من حجة الاسلام الغزالي حجة لا يقف التطور والنمو في الاسلام .

وشبه بهم في الحبث من اختار شيخاً ازهرياً وقاضياً شرعياً واستنطقوا على لسانه واستكتبوا قلبه مزاعم ، أقصد طبعاً علي عبد الرازق .

و إياً ما يقول علي عبد الرازق فانه لا يحتاج بعلي عبد الرازق و لا حتى بحجة الاسلام الغزالي لا يقف الاسلام عن التطور والنمو ، إن الترحيب بكتاب علي عبد الرازق إنما يدل على ديموقراطية المسلمين المطلقة ، إن المجتمع الغربي أعدم سقراط و أعدم كوبر نيكوسى و أعدم جاليليو ، عندما قالوا ما هو أقل كثيراً عما ورد على لسان علي عبد الرازق ، فهل عرف الغرب هذا الفضل الذي يحرص علي أن يعلننا إياه ، أم أنهم يلغون الدولة عندنا و يقرونها عندهم .

اختلاف فكرة الدولة في الاسلام عن فكرتها في أوروبا :

الاسلام لا يفصل الدنيويات عن الآخريات ، فالقرآن يقول « ولئن خاف مقام ربه جنتان » .

ويقول « هل ترهبون إلا إحدى الحسينين » لجنة الدنيا وجنة الآخرة متصلتان

أما المسيحية فنقول ما قلناه وما لقبصر لقبصر ، وتفصل تماماً بين الدنيا والآخرة . و محور الدنيا و صلاح أمورها واستقامتها إنما يتم من خلال الدولة ، ومن ثم فالدولة في الاسلام جزء من الايمان المتكامل عبر الدنيا والآخرة ، و إذا كان الاسلام لا يضحى بالدنيا فانه من باب أولى لا يضحى بالدولة .

و مقارنة الدولة في الاسلام بالدولة المسيحية تعطينا صورتين متضادتين ، فالاسلام يكره وجود طبقة حكام كما يكره وجود طبقات أخرى على أسس مادية أو وراثية أو غير ذلك ، إنما الاسلام يفرق بين الناس على أساس « أهل التقوى » و غير أهل التقوى ، الاسلام لا يعرف رأسمالية وبروليتارية و لكن يعرف أهل التقوى و غير أهل التقوى .

و من ثم فالدولة في الاسلام لا يكون رجالها طبقة و هي ما يعرف حالياً بالصفوة سواء من الحكام والوزراء والمديرين وأصحاب البنوك ورجال الاعلام ، إلخ . ومن ثم فشكل الدولة في الاسلام مختلف تماماً ، رجال الدولة هم أهل التقوى أصلاً و بشرط أن يضعوا أنفسهم في خدمة الشرع و بشرط أن يفهموا أن الشرع هو خادم الانسان المسلم و بشرط أن يحبب الانسان المسلم في الشرع و يخضعه له .

أما صورة الأمير و الوزير و الضابط و السجنان التي تكون ملامح الدولة الغربية و يشكلونها بعضهم طبقة فوق طبقة « الناس » فهذه التركيبة لها أخطاؤها من كبت و ظلم و بغي و سرقة و نهب هي التي استغلها علي عبد الرازق في التشويش على التاريخ الاسلامي جهلاً منه بحقيقة الدولة ، الواقع أن كل المظالم التي وقعت فيها الدولة الاسلامية حتى برر علي عبد الرازق لنفسه مهاجمتها إنما هي ملامح الدولة الأوروبية غير الاسلامية ، فتأملوا و تبهوا و فرقوا بين الجرة و النمرة .

نوع الدولة في الاسلام :

إذا اتفقنا على أن الجنة جنتان و إن الدنيا موصولة بالآخرة ، و أن الدين

و السياسة « دينيسياسة » و إن الخلافة هي رابطة تجمع كل المسلمين لا مجرد خليفة يتخذ أو يرث العرش ، و إن في الامكان - كما فعلت اليهود في القرن العشرين - أن توجد رابطة دولية إسلامية تتمثل في دولة لهم مع الاحتفاظ بالمستجدات السياسية الحديثة كاللبرالية البرلمانية ، إذا اتفقنا على هذا نبحت ما هو شكل أو نوع هذه الدولة . نرى أن هذه الدولة في الاسلام يجب أن تكون ديمقراطية مطلقة بلا حدود .

١- الشورى من القواعد المقررة والتي نص عليها القرآن الذي لم ينص على الدولة ذاتها « و شاورهم في الأمر » و لو لا أنها ملزمة لما نص عليها بالأمر ، و لأعطى نصاً يفيد الجواز أو إخضاعها لأمر آخر .

بل إن الشورى تحمل معنى أضخم من مجرد الانتخاب و حرية القول و حرية الاجتماع التي تكون أركان الديمقراطية المعاصرة ، الشورى معناها إنهم بعد أن يتمتعوا بكل هذا لا بد أن تشارهم كحاكم في كل أمر ، لا تنتظر حتى يستجوبك أعضاء البرلمان ، و لاحقاً تفقد الصحافة و لاحقاً يدخل عليك رجل الشارع ليناقدك في السياسة ، بل عليك أنت كحاكم و كسياسي و كصفوة ، أن تطاردهم ليناقدوك .

لأن الديمقراطية يمكن أن تكون سلبية إذا انتظرت حتى يناقشك المحكوم دون أن يكون لديه البيانات التي يهبها لك المنصب و يحجبها عن المحكوم ، و قد تكون إيجابية عند ما نصر أنت كحاكم أن تعطى البيانات التي عندك للمحكوم و نصر على أن يناقشك فيها .

و لأن الديمقراطية يمكن أن تكون صورية أو حقيقية حسب ما يريد الحاكم أو لا يريد ، ولأن الديمقراطية يمكن أن تؤدي إلى ضعف ناتج من التحزب و يمكن أن تؤدي إلى قوة ناتجة من الاجماع و الافتتاح القومي الشامل المؤمن : و هذا حسب ما يريد الحاكم .

و من ثم فإن كل الأنظمة تدعى الوصل بليل ، و تقول : إنها ديمقراطية ، هتلر قال : إنها ديمقراطية اشتراكية ، الشيوعية تقول : إنها ديمقراطية الشعب ولا شئ لأهواء الشعب ، كل حاكم عسكري قال : إنه ديمقراطي .

أما الشورى فيستحيل أن يقول هتلر أنه شاور و لا ستالين أنه شاور و لا الحكام العسكريون أنهم شاوروا ، فالفرق بين الشورى والديموقراطية هي الفرق بين الصدق الكذب .

إن الاسلام هو الديمقراطية الصادقة ، أما اللبرالية الغربية فهي ديمقراطية كاذبة و تتفاوت نسبة الكذب من بلد إلى بلد و من وقت إلى آخر ، و أدوات الكذب هي المال و المفريات ، هل أدل على كذب الديمقراطية الغربية من أن الأقلية اليهودية في أمريكا هي التي تفرض الرئيس الأمريكي و هي التي تفرض على الرئيس الأمريكي خط سيره و ترعبه رعباً ، و هي التي تجعل لها نفوذاً على النواب المنتخبين أكثر من نفوذ الرئيس الأعلى للدولة .

لو أن الرئيس الأمريكي يتذرع بالشورى و يشاور كل طبقات المحكومين في القضايا لأبطل النفوذ الصهيوني هذا .

و « الشورى » تستلزم بالتبعية شيئاً آخر في غاية الأهمية ، هو أنه لا أسرار على المحكوم و لا أجهزة سرية في يد الحاكم ، لا تجسس و لا مخابرات و لا حكومة خفية و لا « لوبي » و لا اجتماعات مغلقة و لا أجهزة أمن خاصة و لا محاكمات سرية ، المحكوم هو الذي يقرر أن هذا الأمر يستدعي السرية عن الدول الأجنبية أو لا يقرر ، إنها حياة مختلفة تماماً و جو مختلف تماماً و أخلاقيات مختلفة تماماً لا وفاق سرية على المحكوم ، و لا مصاريف سرية و لا رقابة بريد أو تليفون أو صحافة أو رقابة ، أبناء حقائق العالم كلها يعرفها ، و هذا هو التحرر الواقعي ، أما وسائل التكمم المفروض

حالياً في كل الدول المسماة ديموقراطية فانها تحول الانسان إلى رقيق أقل درجة من رقيق النخاسة مهما قبل في الشكليات الثانوية .

فالحر حقاً هو الذي لا تتكتم إزاهه الدولة و لا المجتمع ولا الحاكم، والعبد حقاً هو الذي مصيره في يد غيره سراً و واقعياً حتى لو أفهم زوراً بأنه حر .

٢- الاجتهاد طابع الديموقراطية الاسلامية :

الايان بذرة تلقى في النفس البشرية كما تلقى البذرة في التربة ، هذه البذرة إما أن تنمو وأما أن تموت ، الاجتهاد المتجدد هو الذي يجعلها تنمو وبقدر الاجتهاد و مسيرته لظروف العصر و لعلوم العصر و لاحتياجات الانسان المصرية يكون هذا النمو والازدهار و الحضرة المنبئة للزرع الايماني .

أما الاسلام فقد يكون مجرد شهادة ميلاد « تيكت » ملصق على جسد ، أو قد لا يعدو تقليد حركات و أقوال و أفعال بطريقة القروء المقلدة، أو قد يتحول بالمشاورة إلى إيمان .

فالاجتهاد هو ماء الري وهو سماء التنمية في العملية الايمانية و الاسلامية ، و بدون الاجتهاد يذبل الزرع الايماني و يتحجر و يتفوقع و تتحول بلاد أهله إلى مدن أشباح و حضارات منقرضة قد يبكي أهلها على ماضيهم التليد تماماً كما يبكي صاحب بستان على شجر منبع كان هنا يوماً ما .

هذا الاجتهاد الضروري للاسلام والحيوي لنموه على الزمن لا يتأني إلا في جو الحرية المطلقة ، فالاجتهاد إذن يستلزم وجود ديموقراطية بلا حدود ، وأى قيد على الحرية هو قيد على الاجتهاد ، في ظل الحرية الممدومة أو حتى المحدودة يتحول الاجتهاد إلى فتوى لصالح الحاكم ثم تسبيح للحاكم لا لله ثم إلى شرك و كفر .

ففي ظل حاكم معاصر قال علماء الأزهر : إن معاهدة عقدها هذا الحاكم مع اليهود

هي حديثة جديدة ، ولو كانت الحرية مطلقة و الديموقراطية حقيقية لقالوا له : الاجتهاد الاسلامي الحقيقي .

و لما قال علماء السلطة هذا الاجتهاد الفاسد قال - من باب أولى - طبالو الحاكم الصحفيون : إن رحلة الحاكم من عاصمة الاسلام إلى عاصمة الصهيونية هي مثل رحلة محمد من مكة إلى المدينة (جريدة قومية كبرى) ولما وصل « الاجتهاد » إلى هذه الدرجة من التردى قال كافر أشر إن الله تفرغ يوماً كاملاً لخلق هذا الحاكم ، هذا كله تم في القرن العشرين وفي مجتمع المتعلمين الديموقراطيين ، وما كان لو أن علم أن هناك اجتهاداً فعلياً صادقاً .

فالاجتهاد هو الذي يحمي الحرية الحقيقية و يدافع عنها ، و الاجتهاد يحتاج إلى حرية لكي يزدهر ، فهو يؤدي إلى الحرية و الحرية تؤدي إلى الاجتهاد ، هكذا في حلقة دائرية لانتهائية ، ومع كل دورة في الدائرة يزداد نمواً مضاعفاً تضاعفاً مركباً .

فاذا كانت الشورى هي الصفة المميزة الأولى للديموقراطية الاسلامية عن الديموقراطيات الغربية فان الاجتهاد هو الصفة المميزة الثانية .

### ٣- الديموقراطية والوحي :

التحدى الأكبر للانسان المعاصر هو « هل الحقيقة من عند الله أم من عند عقل الانسان » هذه العلاقة بين الوحي و العقل أو العلاقة بين الآخرة والدنيا أو العلاقة بين النقل والعقل هي إشكال كل المفكرين في كافة الأديان ، و إن كانت تأخذ عناوين مختلفة من وقت لآخر ، حالياً مثلاً يعطونها عنوان « التراث و المعاصرة » يقصدون بالتراث الدين و بالمعاصرة الدنيا ، أو بما نسميه هنا « الحقيقة من عند الله أم من عند عقل الانسان » وآخرون يعطونه عنواناً أكثر التهايباً فيجعلونه حرباً بين الاسلام و بين العلمانية .

و قد سبق لمفكرين أمثال ابن رشد و الفارابي و الغزالي أن أنفقوا الليالي

الطوال بلا نوم في البحث عن هذه العلاقة، ثم انفقوا أياماً طويلة في تبيانها للناس. ولكن نظرة النبي ﷺ و الصحابة إلى هذا الموضوع كانت أبسط كثيراً، و عملية و واقعية، فالاجابة على هذه الحقيقة من عند الله أم من عند عقل الانسان كانت أنه لا تناقض بين الاثنين لأن عقل الانسان هو من عند الله، و أنه لا حاجة يجب أن تقوم بين التراث و المعاصرة بل وصل كامل و مستمر، كوصل الأمت باليوم بالغد، و أنه ما من «علماني» إلا و الاسلام في أحماه حتى و لو لم يدر، و ما من مسلم إلا و يجب أن يتعلم كل علوم العلمانيين حتى يعيد اكتشاف ذاته و حتى يترجم نفسه بلغة العصر المتجددة، و إن الحفيد يمكن أن يكون مثل جده عقلاً و إن اختلف عنه لبسا و سكناً و ركوبة و لو حاول التمسك بملابس جده و ركوبة جده و سكن جده لتعذرت عليه الحياة فضلاً عن المنافسة و لمات قبل أن يؤدي مهمته نحو الله و نحو الناس. هذا الربط الفيسيولوجي الطبيعي بين العقل و خالق العقل و بين المعاصرة و التراث و بين الوضع و الوحي، و هذا التدفق المستمر المتصل لمياه الحياة عبر الأجيال لا يمكن أن يتم إلا في ظل ديمقراطية مطلقة، لأن أي قيد على الحرية هو قيد على اتصال التفكير من الأجيال و هو قيد على اتصال العقل بالوحي. لا يمكنك أن تقول: لا فرق بين الوحي و العقل إلا في ظل حرية مطلقة و هذا الربط بين العقل و الوحي هام جداً جداً في تكوين أي حضارة أو أي بقعة سياسية أو اجتماعية، إنك لو فصلت بين العقل و الوحي رفض مدعى العقل أن يطبع الوحي فنشأ إذن الكفر، و الكفر له دولة بنظامها و حراسها و تقالدها العلنية و الخفية، أما لو صممت على وصل العقل بالوحي لاستحال على أي عقل أن يكفر أولاً لأن الوحي لا يمكن أن يخفى و لأن العقل يقبل الوحي في عجة.

فالديموقراطية الحقيقية و الكاملة و الصادقة تستلزم ضرورة الربط و الوصل الكامل و عدم إثارة أي نزاع بين الوحي و العقل أو بين التراث و المعاصرة أو بين الاسلام و العلمانية، و هذا الوصل بين هذه و تلك في نفس الوقت تؤدي إلى تأصيل الديمقراطية الحقيقية بين الناس فهي إذن حلقة مفرغة و مستمرة و مع كل دورة في هذه الحلقة ينمو الايمان.

٤- الديمقراطية الاسلامية و الحوار:

نص القرآن الكريم على الحوار نصاً صريحاً « لكم دينكم و لي دين » فإذا كان الحوار أمراً ملزماً بين المسلمين و غير المسلمين فهو أولى بين المسلمين و بعضهم البعض، و الحوار هو الديمقراطية و لا ديمقراطية بلا حوار، و الحوار يثرى الديمقراطية و الديمقراطية تثرى الحوار

اذن يجب على الاسلام السياسي أن يتمسك برفع شعار الديمقراطية القائمة على (١) الشورى (٢) الاجتهاد (٣) ربط الوحي بالعقل (٤) الحوار بين الجميع، و يجب على الاسلام السياسي أن يمارس هذه البنود فيبدأ بالشورى بين صفوفه و يبدأ بالاجتهاد إزاء كل المشاكل و يبدأ بمنع أي محاولات لفصل العلمانية عن الدين و أن يقيم حواراً مستمراً داخل صفوفه و خارج صفوفه و مع أهل دينه و غير أهل دينه ( و إن كان لهذا قواعد و تكتيك خاص ) و أن يعلم أن كل شخص علماني لا زال في أحماه حنين إلى الدين و أن كل متدين يحتاج إلى العلمانية لكي يعيش و أن مهمة الدولة في الاسلام هي وصل الأمت - الدين - باليوم و الغد - العلم - و أنها أمة وسط بين هذا و ذلك و أن هذه الوسطية ليست وسطية كمية و لكنها وسطية جغرافية أي أنها حلقة وسط تصل هذا بهذا باعتبار أن عدم الوصل بين الأمت - الدين و التراث - و بين الغد - العقل و العلم - هو حركة مضادة للاسلام و تهدده. « يتبع »

## المبادئ السياسية و السنة النبوية

( ٣ )

بقلم : الدكتور عبد اللطيف عبادة  
أستاذ الفلسفة ، بقسنطينة

إن هذا الدستور قد تضمن المبادئ الأساسية الضرورية لميلاد دولة ، و لبناء مجتمع ، إذ نص على تكوين أمة ، و على التضامن بين أبنائها مهما كان جنسهم و دينهم ، في حالة اليسر و العسر ، و في حالة الرخاء و الشدة ، و تعرض لحرمة المجتمع الإسلامي ، و ضرورة الدفاع عنه ، و عدم موالاته الأعداء ، و تضمن حرية العقيدة ، و تحريم الاعتداء و الظلم ، و تعرض إلى من يحكم بين أبناء هذا المجتمع في حالة الاختلاف و الاشتجار ، و هذا في خطوطه العريضة ما يتعرض له أرقى الدساتير في عالمنا المعاصر ، و بعد مرور ما يزيد عن ١٤ قرناً من الهجرة النبوية و من تاريخ كتابة هذا الدستور بالذات ، هذا و يعلق « موتغمري وات » على هذا الدستور فيقول : « إن هذه الوثيقة ليست بدعة منظر سياسي ، بل تضرب بجذورها في صميم عقلية و اتجاهات جزيرة العرب قبل الإسلام ، (١) و الوثيقة في نظره دائماً « قوية الارتباط بالنظام السابق للإسلام فيما يتعلق بالأخذ بالنار :

إذ تتحمل طوائف الأمة أي المجموعات الأقرب في نسبتها عبء دية الدم و الفدية و تشدد على تعاضد الأمة في المسائل الأخرى التي ترتبط بمفهوم « الجوار » لأنها تعمل كرجل واحد في مسائل السلم و الحرب مع الشركين ، أي مع مكة الوثنية في المقام الأول ، و ينبغي إظهار التعاضد في احترام منح الجوار ، أما أكثر النقاط

(١) وات ، المرجع السابق ص ١٣ .

( ٣٤ )

الثورية فهي التي تنص على أنه إذا اقترف أحد أبناء الأمة عدواناً على الآخر فقد حق على أنسابه الباغي السعي لانزال العقوبة به بدلاً من حمايته ، خلافاً لما هو متعارف عليه قبل الإسلام (١) ، و يشير إلى أن الوثيقة تنص على أن من قتل مؤمناً متعمداً من بين المؤمنين فجزاؤه جهنم (٢) ، و قد بذل الرسول ﷺ جهداً أساسياً في نظر « وات » و في « إقناع الناس بقبول دية الدم و ضمان الاتفاق على نصابها » (٣) ، و يعتقد « وات » من جهة أخرى أنه بغض النظر عن النمو الهائل للدولة الإسلامية ، يظل ممكناً رؤيتها في إطار القبيلة السابقة للإسلام ، إذ أنها في الجوهر كانت أمجاداً للقبائل أو « قبيلة عليا » ، و قد اعتبرت كلمة أمة كما وردت في الدستور سبيلاً خاصاً لا تحيط الأفكار السابقة للإسلام إحاطة تامة بجوانبه ، و إذا وجدت فهي غير واضحة البتة ، و ظلت المفاهيم السائدة قبل الإسلام سارية المفعول رغم التعقيد المتنامي للهيئة السياسية التي أدارها محمد ﷺ خلال سنوات حياته ، و يمكن القول أن عملية التنامي هذه جرت باتساق مع المبادئ السابقة للإسلام (٤) .

و هذا كله في نظره يبرز « للباحث المعاصر » أن يعتبر البنية السياسية للدولة الإسلامية في « حالة توافق شامل مع الأفكار السابقة للإسلام » و يضيف قائلاً : لقد أجمع محمد ﷺ و رجال المدينة على استحداث بنية سياسية يمارس الإسلام في إطارها ، غير أنه بدا ناشزاً أن يستحدثوا بنية سياسية حديثة بمعنى الكلمة ، وكان حرياً بهم أن يخلقوا بنية في شروط المفاهيم السياسية التي كانوا يألّفونها أي المفاهيم السياسية السابقة للإسلام ، « (٥) » .

(١) ن ، م ص ١٦ و ١٧ (٢) ن ، م ص ١٧ .

(٣) ن ، م ص ١٨ . (٤) ن ، م ص ٢٢ . (٥) ن ، م ص ٢٤ .

( ٣٥ )

و يعتبر « وات » الجهاد عبارة عن « صورة من صور الاغارات الجاهلية ، و لعل السواد الاعظم من المجاهدين » لم يضعوا نصب أعينهم سوى القنائم و حملها و توزيعها « (١) .

« و منزلة الرسول ﷺ في المجتمع هي في رايه كمنزلة شيخ القبيلة في المجتمع الجاهلي ، « سوى أن محمداً أكبر من شيخ قبيلة أو زعيم اتحاد قبلي ما » (٢) . و يمكننا القول بادي ذي بدء أن هذه المفاهيم - التي اختلقها « وات » - هي مفاهيم خاطئة عن الاسلام ، و عن مبادئ الاسلام السياسية ، و لا تليق بموضوعية « الباحث المعاصر » التي يعتز بها .

فالاسلام قد وصف الروح القبلية و العصبية و الحية بأنها منتنة ، من ذلك مثلا أن رسول الله ﷺ قال : « ليس منا من دعا إلى عصبية ، و ليس منا من قاتل على عصبية ، و ليس منا من مات على عصبية » (٣) .

وعن جابر بن عبد الله قال : « كنا في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار ، فقال الأنصاري : يا للانصار ! فقال الآخر للمهاجرين يا للمهاجرين » .

فقال النبي ﷺ « دعوها إنها منتنة » (٤) ، و صح قول سعد بن عبادَةَ لابي سفيان متحديا (٥) : « اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الكعبة ، « بقوله « اليوم يوم المرحمة اليوم يعظم الله الكعبة » .

إذن تبين لنا أن الدولة الاسلامية قد قطعت كل علاقتها بالمجتمع الجاهلي ،

(١) ن ، م ص ٢٩ . (٢) ن ، م ص ٣٣ .

(٣) رواه أبو داود . (٤) رواه البخاري .

(٥) كان ذلك في فتح مكة عند ما كان أبو سفيان يشاهد استعراض الجيش

الاسلامي قبل دخولها إلى مكة فاتحا .

فلا تثار و لا عصبية ، و لا حجة ، و لا غيرها من سمات المجتمع الجاهلي قد بقيت في المجتمع الاسلامي كما يدعى « وات » ، و ليس الجهاد مجرد إغارة ، لأنه يهدف إلى أهداف غير الاهداف التي ترى اليها الاغارة الجاهلية ، إذ ليس حربا لانفسه الأسباب بل هو يهدف إلى تبليغ الدعوة الاسلامية ، و لا يحارب من نطق بالشهادتين و يعطى الأمان لمعتق الديانات الأخرى إذا دفعوا الجزية .

و ليس الرسول ﷺ مجرد شيخ قبيلة بصورة مكبرة ، إذ أنه لم يحتل منصب الرئاسة لعصبية ، بل تألبت جميع العصبيات ضده ، أو لغرض دنوي ، فلم يكن ذا حال ، و لم ينظم حكومة المسلمين على أساس المفاهيم الجاهلية في الحكم و التشريع و القضاء ، بل نظمها على أساس الوحي الذي تضمنه القرآن و سنته .

و ليست الأمة مجرد جمع لقبائل متاثرة « فالأمة في المفهوم الاسلامي مجتمع إنساني يقوم على الأساس العقائدي المشترك ، و بذلك نقل الاسلام البشرية ، في تكوين الاطار السياسي ، من الدولة القبلية ، و المجتمع القبلي ، و الدولة القومية ، و المجتمع القومي ، إلى الدولة الانسانية العقائدية و المجتمع الانساني العقائدي (١) . أراد « وات » أن يحط من قيمة الوثيقة ، فلم يفلح ، لأن حججه المزعومة لم تكن سوى مجرد إدعاءات لا أساس لها من الصحة (٢) .

و خلاصة القول : إن النظام السياسي الذي أسسه الرسول ﷺ بالمدينة المنورة

بعد هجرته ليس كما يدعى « وات » بل هو :

١- انقلاب أطاح بالبنية السياسية القبلية و الجاهلية ، في المفهوم و في التنظيم .

(١) المبارك ، المرجع السابق ، ص ١٠٠ .

(٢) و من أراد مزيداً من التفاصيل فليرجع إلى مقالنا في مجلة الأصالة السابق

الذكر ص ٢٧ ، ٢٨ .

٢- إلغاء للعصية و الحية ، و الاخذ بالنار و الحرب ، لاتفه الاسباب .

٣- تحريم لقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق .

٤- و الدولة الاسلامية إلغاء للنظام القبلي ، و ليست قبيلة علياً ، و لو كانت كذلك ما استطاعت أن تحتوى الأمم المحيطة بها ، بماذا من ماض عريق في الملك و السياسة .

٥- البنية السياسية للدولة الاسلامية تتناقض مع بنية المجتمع الجاهلي و لو توافقت معه و اتبعت ما هو مألوف لدى المجتمع الجاهلي - كما يزعم وات - لما حاربها العرب في حياة النبي ﷺ و في حروب الردة ، لقد حاربوها لأنها أتت بأشياء لم يألفوها ، بل أنكرتها تقاليدهم و عاداتهم .

٦- الجهاد ليس إغارة ، بل هو دعوة إلى الاسلام بالتى هي أحسن ، فان أراد أحد أو جماعة منع الدعوة بالقوة واجهه المسلمون بالقوة .

٧- الرسول ﷺ ليس شيخ قبيلة و لا مجموعة قبائل ، و قد عرضت عليه مناصب السؤدد و الملك فرفضها رفضاً قاطعاً ، و هو يحمل معه من المفاهيم السياسية ما هو جدير بتغيير وجه العالم في كل عصر ، بينما لا يحمل شيخ القبيلة - إلا التقاليد و العادات القبلية ، مثل قول الشاعر :

ألا لا يجهان أحد علينا  
فنجعل فوق جهل الجاهلينا

ما هي الشروط التي يجب أن تتوفر في الامام ؟

فصلت السنة النبوية بعض شروط الامامة :

١- العدالة . ٢- العلم : ٣- الخبرة السياسية و الادارية .

٤- الذكورة . ٥- الاسلام . ٦- القرشية .

## ١ - العدالة :

و من الامور التي تدخل تحت شرط العدالة الاهلية الاخلاقية و الدينية للقيادة ، وفي هذا الصدد يقول ﷺ : « إذا أسندت الامور إلى غير أهلها فانتظر الساعة » و الرسول ﷺ كما رأينا ينكر الرذائل الموجودة في بعض الائمة والامراء و الولاة ، كالقسوة ، و الجبروت ، و التكبر ، و غير ذلك من الصفات الذميمة . و يفضل الرسول ﷺ أن يكون امرؤنا خيارنا لا شرارنا ، قال ﷺ : « إذا كان امرؤكم شراركم ، و اغنياؤكم بخلائكم ، و أمركم إلى نساءكم ، فبطن الارض خير لكم من ظهرها » .

و يتفق رواية سيرة الرسول ﷺ على أن مفاضته ﷺ بين المسلمين من أجل توليتهم لا تعتمد على السن ، ولا على الأصل ، بل تعتمد على العمل الصالح ، فقد جعل أسامة بن زيد بن حارثة رضى الله عنه أميراً على عامة الصحابة في غزو الورد إلى البلقاء ، و بعد استنكار بعض المنافقين قال ﷺ : « إن كنتم تطعنون في امرته ، فقد كنتم طعنتم في إمرة أبيه من قبل ، و ايم الله إن كان خليقاً بها ، وإن كان لمن أحب الناس إلى ، وإن هذا لمن أحب الناس إلى من بعده » (١) . و يضيف مسلم : « فأوصيكم به فانه من صالحكم ، و الصلاح من الورع و العدالة . و قال ﷺ : « أيما رجل استعمل رجلاً على عشرة أنفس علم أن في العشرة أفضل ممن استعمل ، فقد غش الله و غش رسوله ، و غش جماعة المسلمين » .

## ٢ - العلم :

أحق الناس بالولاية و الامامة أعلمهم بكتاب الله ، و لذلك أمر الرسول ﷺ عثمان بن أبي العاص على ثقيف إذ أعجبه ما رأى فيه من الحرص على فهم كتاب الله و تفقهه في الدين .

(١) أخرجه البخارى و النسائى و اللفظ للبخارى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه .



و ما دام الامر هكذا فان العلماء في عصرنا الحالي لا يرون ضرورة اشتراط القرشية في الامام .

## البيعة :

هي العهد على الطاعة الذي يعطيه المبايع لأميره ، و هو يسلم له النظر في امر نفسه و امور المسلمين ، لا ينازعه في شئ من ذلك ، و يعطيه فيما يكلفه به من الامر على المنشط و المكروه (١) ، و قد أخذ مدلولها من بيعة الاسس الدينية للبيعة .

النبي ﷺ ايلة العقبة ، و عند الشجرة ، و هما البيعتان اللتان ذكرتا في القرآن كما يذهب إلى ذلك بعض المفسرين .

عن أبي الوليد عباد بن الصامت رضى الله عنه قال : « بايعنا الرسول ﷺ على السمع و الطاعة في العمر و اليسر و المنشط و المكروه ، على اثره علينا ، و على الا تنازع الامر امله - إلا أن تروا كفراً بواحاً ، عندكم به من الله تعالى فيه برهان ، و على أن نقول بالحق أينما كنا ، لا نخاف في الله لومة لائم (٢) »

وقد بويع الرسول ﷺ في بيعة العقبة الأولى ، و بيعة العقبة الثانية ، و بيعة الرضوان ، و بيعة الفتح ، « و اشتهرت منها بيعة النساء التي ذكرت في القرآن كذلك » .

و قد أمر الرسول ﷺ المسلمين أن يوفوا بالبيعة ، قال ﷺ : « كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء . كلما هلك نبي خلفه نبي ، وإنه لا نبي بعدى ، وسيكون بعدى خلفاء فيكثرون » قالوا يا رسول الله ، فما تأمرنا قال : « أوفوا ببيعة الأول فالأول ، ثم اعطوهم حقهم ، و اسألوا الله الذي لكم ، فان الله سائلهم مما استترتم » (٣) وقال ﷺ : « من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية (٤) » .

- (١) ابن خلدون ، المرجع السابق ص ٢٧٠ انظر كذلك مقالنا في الاصلحة بعنوان (٢ - ٣) متفق عليه عن أبي هريرة رضى الله عنه .
- (٤) رواه مسلم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه .

إن البيعة هي ثمرة القلب تتجلى في صفقة اليد ، و البيعة عقد يلزم الامام بالعدل ، و إعلاء كلمة الله ، و يلزم المسلمين بالطاعة ، قال رسول الله ﷺ : من بايع إماماً فأعطاه صفقة يده و ثمرة قلبه فليطعمه إن استطاع ، فان جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر ، (١) و منفصل معنى الطاعة و حدودها فيما بعد ، و روى عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا بايعه المسلمون على الطاعة يقول : « فيما استطعتم » (٢) .

## أداء الأمانة :

قال رسول الله ﷺ بصرح بأن الامامة ، و الولاية ، و الامارة ، أمانة ، ولذلك يجب على المسلم الا يقبلها إلا إذا كان قادراً على أخذها بحمقها ، و أداء الذي عليه فيها ، و إلا فانها ستكون خزيًا له و ندامة و حسرة يوم القيامة (٣) .

ولا تؤدي هذه الامانة إلا باتباع السياسة الشرعية التي رسمها القرآن و الرسول ﷺ لأولى الامر في الامة الاسلامية .

« يتبع »

- (١) رواه مسلم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه .
- (٢) متفق عليه عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه .
- (٣) انظر حديث أبي ذر السابق الذكر .

العقوبات الاسلامية

ولما قيل عقوبة قسيلا...  
 بين دعاية وحقيقة...  
 التفتيح نور الحق للرحماني...  
 ان العقوبات الاسلامية تعرض اليوم لانتقاد شديد من جانب دعاة التجديد والتغيير ورجال القانون في العصر الحاضر، لانهم يرون ان الاسلام قاطب في تشديد العقوبات والتعزيرات لانها قور عقوبات هليجة وجدد واداء قاسية فظة بالجرائم التي يمكن معالجتها بطرق ملائمة اخرى، الى مجرد تطويع تلك العقوبات الاسلامية يهر الانساني ويحدث الوعدة والقسموية في الابدان، فانت كان الانصاف الذي تقطع يد الزجلة الصحيح السليم الذي كافا علملا قويا فقد المجتمع من بريم ديناره؟ ونجمه كلا على المجتمع عاطلا عاجزا في الحياة ووزرا على الامم؟ لان الاكل والشرب حق من الحقوق الطبيعية للانسان فليس من العدل ان تفرض القيود عليه ونعاقب شارب الخمر بالجلد، انه تدخل في حرية الانسان، ان الشاب الذي كان يعاني من نشاطه الجنسي فمال الى الزنا لشدة الحاجة اليه حين لم يجد سبيلا الى اشباعه بطريق مشروع، لا يحسن ان نعاقبه بالجلد او الرجم ونسلب عنه حق الحياة، ولا سيما اذا تم ذلك عن رضا الطرفين - وكذلك ان قتل احد آخر بدافع من الغضب او بسبب من الاسباب القاسية لا يجوز ان نقتله ايضا ونضيق نفسا اخرى بعد ان ضاعت الاولى بالفعل، ونحرم المجتمع من عامل آخره (1)

يقولون: ان تلك العقوبات القاسية الفظة التي كانت تنفذ في الصحراء قبل اربعة عشر قرنا كانت صالحة لأولئك الحفاة الحفاة من الأعراب ويناسبة للبيئة

البدوية القاسية الحياة الهمجية التي نشأوا فيها واكتووا بنارها، أما في هذا العصر المتطور، في عهد المدنية والحضارة فلا يحسن أن تفكر في تنفيذ تلك العقوبات التي تقشع منها الجلود.

هذه هي شبهتهم الغبية الهزيلة وبجمل اعتراضاتهم التي يشيرونها على العقوبات الاسلامية ولا يزالون يرددونها باسم مواساة الانسانية وخير البشرية غيرها لا تبتني على اساس صحيح من الدراسة والفكر ولا تثبت امام مناقشة موضوعية، وإنما تولد من العصبية أو سوء الفهم وقلة التفكير في مصالح تلك العقوبات وأخذها اخذاً سطوحياً بانياً، ومن المؤسف أن الطبقة المثقفة بالثقافة المصرية من المسلمين تأثرت بهذه الترهات الفارغة والدعايات الكاذبة الجوفاء وأخذوا يحاكونها كالبيغاء بدون أن يدرسوا نظرة الاسلام للجريمة والعقاب على حقيقتها، فويل للناس من الالفاظ، كم تبعدم عن الحقيقة؟ ولكي تتوصل إلى حقيقة القضية وتعرف مدى صدق هذه الدعاوى يجب أن تفكر فيها بغاية من الامعان وتعرض حقيقة هذه الشبهات.

ان الاسلام دين الفطرة ودين الرحمة والسعادة للانسانية، وهو دين سماوي كامل وحضارة إلهية عادية منسقة متزنة وأبدع نظام للحياة عرفه البشرية في عمرها الطويل في شموله لكل مناحي الحياة معالجته قضايا الانسان بغاية من الاتقان، وانسجامه الكامل مع فطرته، إنه شريعة ومنهاج صالح لكل زمان ومكان، فانه جاء من عند الله الذي خلق الكون والانسان وهو اعلم بفطرته وصالحه واعلم بما ينفعه ويضره، الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير، وهو الرحمن الرحيم الذي لا يريد الا الرحمة والعطف على الخلق، ان الله كان بكم رحيمًا، فلا بد أن يكون أمره وتشريعه مبنيًا على الرحمة والخير للانسانية متكفلا لسعادة الدنيا والآخرة.

ان الاسلام يريد أن يكون المجتمع البشري مجتمعاً كريماً مثالياً آمناً، مجتمعاً طامراً نظيفاً عن الجرائم والفواحش لكي يعيش الناس حياة أمن وسلام وهدوء ورفاه و تروج في المجتمع الصفات الانسانية والقيم الاخلاقية الفاضلة بدون أن

تكدر عيش الناس وتمتد إليهم يد الظلم والعدوان ولذلك فانه وضع عقوبات رادعة لكي يستأصل جذور الجريمة وينقي المجتمع من كل شر وفساد وظلم وعدوان حتى يطمئن الناس على نفوسهم و أموالهم ويعيشوا حياة هادئة مطمئنة .

إن الاسلام يقدر الجماعة أكثر من الفرد و لذلك يؤثر المصالح الاجتماعية والدولية على المصالح الفردية ويتحمل مضرة الفرد نظراً إلى مصالح المجتمع والعامه ، و لذلك فرض العقوبات الرادعة الفعالة لوقاية المجتمع وتنظيفه عن المنكر و الفحشاء و هجوم البغاة الجناة وعناصر الفساد .

إن الزنا جريمة فاحشة نكراء تشوه النسل الانساني وتفشى الفحشاء و الفساد الكبير في المجتمع وتضعف روابط الزواج وتفسد عقلية المجتمع كله كما تخلق مشاكل أطفال الحرام وما إلى ذلك من المفاصد ، أما السرقة والنهب وقطع الطريق فكل ذلك اعتداء موجه من فرد أو أفراد إلى الفرد أو المجتمع ، وذلك يحدث الخوف والذعر والفوضى و الاضطراب في المجتمع ويزيل ثقة الناس وطمأنينتهم ، ويشعرون دائماً بالخطر على أرواحهم و أموالهم .

أما القتل عمداً فهو أيضاً اعتداء يهدد أمن الأفراد ويشير عواطف الانتقام في نفوس ورثة المقتول ما يدفعهم أحياناً إلى ارتكاب جريمة مماثلة كرد فعل سابق و ذلك ربما يجر أفراد كل من الأسرتين إلى حرب شعواء وجدال طويل لا تكاد تخمد ناره .

أما شرب الخمر فيضر بالصحة و يؤدي إلى الافلاس ويخمر العقل ويشل إحساسات الانسان اللطيفة ويضعف الشعور الأخلاقي الواقع الذي يجره إلى السباب والشتام و التضارب والتشابك وسفك الدماء إهدار الكرامة و غيرها من الفواحش و الجرائم الخلقية والنفسية .

إن كل ما ذكر من الجرائم خطيرة شنيعة تقضى على الأمن والهدوء وحرية أفراد المجتمع وقد اتفقت على شنائها جميع الملل والنحل والديانات السماوية وغيرها و لا يستقر في المجتمع و البلاد الأمن والسلام بدون فرض القيود عليها ، فما هو

الطريق إلى القضاء عليها حتى يكون المجتمع نظيفاً نقياً من الفواحش و المفاصد كلها ؟  
لواء الحضارة الحديثة ؟

إن التجارب و سجلات المحاكم تنطق بقصور القوانين الوضعية عن تحقيق الأمن و السلام و عجزها عن منع الجرائم من المجتمع ، فأى بلاد ألغت تشريع الاسلام و نفذت القوانين الوضعية انتشرت فيها الفواحش بصورة واسعة وهائلة و ارتفعت نسبة الجرائم ارتفاعاً مخيفاً ، يحلو لي أن أنقل هنا مثالا واضحاً لذلك ، ذكره الكاتب الهندي الشهير الأستاذ وحيد الدين خان في كتابه «الاسلام يتحدى» بقول الأستاذ في الباب الثامن من الكتاب :

وهناك أمثلة أخرى عديدة في بلاد الهند عقوبة القصاص ولكنها عادت فأقرته مرة أخرى نظراً للعواقب ، فقد أصدر البرلمان السيلاني قانوناً سنة ١٩٥٦ م يحرم القصاص في حدود سيلان ، فارتفعت نسبة جرائم القتل ارتفاعاً مخيفاً بعد صدور القانون ولم يستيقظ السيلانيون من سباتهم إلا يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٥٩ م عندما تسلل رجل مسلح داخل منزل رئيس الوزراء السيد بندرانايك و قتله بكل جرأة في غرفته و كان أول ما فعله أعضاء البرلمان السيلاني بعد دفن جثمان رئيس الوزراء المأسوف عليه ، أن عقدوا جلسة طارئة استغرقت أربع ساعات وأعلنوا عند ختامها أن سيلان قررت إلغاء القانون و إصدار قانون جديد بتشريع القصاص ، ( الاسلام يتحدى ص ٢٣٩ ) .

و هنالك أمثلة أخرى كثيرة ثبتت عجز القوانين الوضعية عن منع الجرائم و حماية الأمن والاستقرار ولذلك نرى أن الدول الغربية قد فشلت في إحلال الأمن والسلام و الهدوء في المجتمع ودرء الجرائم و الفواحش ، و حطمت فيها جميع القيم الخلقية والمثل الانسانية العليا و عميت المنكرات و الفواحش و الخلاعة والمجون و الفوضى و الاضطراب و القتل والنهب و الفساد و الدمار و ما إلى ذلك من الجرائم الخلقية

والجنسية والعرضية التي اكتسحت البلاد الغربية من أقصاها إلى أقصاها، وقضت على الأمن والراحة والسكينة والسعادة والقيم الانسانية القديمة وأصبحت الحياة فيها فكالا وعذاباً، هل إنها حضارة ومدنية؟ وهل هي حرية وانطلاق؟ كلا! إنها صورة حية لنتيجة الانحراف عن التشريع الالهي و القانون الاسلامي الحكيم العادل الذي لن تسعد البشرية بدون التمسك به، و إنها نقمة و عذاب في الدنيا قبل العذاب في الآخرة « والعذاب الآخرة أشد وأبقى » .

إن السجون التي أقيمت في تلك البلاد لحبس السراق والجناة ومعاقبة المجرمين العابثين بأمن المجتمع ليست مجرماً وإنما هي منتدى يجتمع فيه السراق والمجرمون فيبادلون خبراتهم و يتدربون على الجرائم و أنواع المفاسد، و إلا فأنى يتصور التعذيب و التعزير في قصور شائعة عالية مزودة بأحدث الأجهزة و متوفرة بكافة التسهيلات ومرافق الحياة، بل و ذلك يجر الجاني إلى اقرار الذنب و العودة إلى الجريمة حتى ينتهي به الأمر إلى سجن يتوافر له فيه أسباب الرفاهية و رغد العيش أكثر من أي مكان آخر، و ذلك يزيل احساس الجريمة و شناعتها من ذهنه و يكون سبباً لتشجيعه و دفعه إلى الجريمة بدلا من أن يكون رادعاً و مانعاً عنها، و هنا أذكر تمثيلاً للتشريع الجنائي للعرب و معاقبة الجناة بالسجن .

ففي لندن يعاقب السارق على سرقة مائة ألف رطل بالسجن لمدة ستة أشهر حيث يتوافر له المأكل و المشرب و الملابس و غيره من وسائل الراحة فعندما يعود السارق إلى منزله بعد قضاء هذه المدة في السجن ليتفكر في نفسه أنه قضى ستة شهور آمناً مطمئناً متمتعاً برغد العيش و مرافق الحياة في حين كان محروماً من معظمها قبل دخوله في السجن و اكتسب مائة ألف رطل، و لم يكن في وسعه أن يكتسب هذا المبلغ الخطير من النقود في عشر سنوات بالعمل و الأجرة، فيحسب هذه الجريمة صفقة رخيصة و رابحة و يندفع إلى السرقة و ارتكاب الجريمة ثانياً ليعيش حياة راحة و سعادة بدل أن يتعب و يجهد نفسه في العمل طمناً في أجرة قليلة .

اتضح لنا من العرض السابق أن التشريعات الوضعية قاصرة عن درء الجرائم، بل وبتعبير أصح إنها وسيلة لتشجيع الجناة و نشر الجرائم و المفاسد و القوضى في البلاد، و أن السجن منتدى لتبادل الخبرات بين المجرمين و تدربهم على أنواع الجنایات، و بالعكس من ذلك فإن العقوبات الإسلامية عادلة رادعة فعالة تؤدي تطبيقها إلى استئصال جذور الجريمة و القضاء على الجنایات بصورة تامة كما أنها ترفع بالمجتمع البشري إلى مستوى خلق عال تروج فيه الصفات الانسانية الكريمة و السجايا الخلقية العالية و الخير و الفضيلة، فإن الجاني ربما ينتهي عن ارتكاب الجريمة إذا فكر في عاقبتها الوخيمة و كذلك كل من رآه يعذب أمام جمع غفير من الناس لا يتفكر أبداً في الاقتداء به و تقليده في جريمته إلا أن يرتضى بالقائه نفسه إلى الهلاك و الذلة، و من هنا فليس نظام على وجه الأرض يماثل النظام الإسلامي في محاسنه و توافقه الكامل مع الفطرة البشرية و مقتضياتها و رغباتها .

وقد يشهد التاريخ بفضل هذا النظام في بناء مجتمع مثالي كرم و أسرة صالحة نظيفة و حكومة رشيدة عادلة قائمة على الحق و العدل بعيدة كل البعد عن الجرائم و الفواحش في حين كانت جزيرة العرب مركزاً لجميع الجرائم و المنكرات و كانت الانسانية تنن و تضطرب من صنوف الآلام و الأوجاع و أنواع العذاب كان من الصعب العسير مرور القوافل العظيمة بأمن و سلام و لكن بفضل تنفيذ شريعة الله و تطبيق حكمه و إجراء الحدود و القصاص اختفت الجرائم كلها بصورة شبه كاملة و اطمأن الناس على نفوسهم و دماهم و أعراضهم و أموالهم و انقلب الوضع ظهراً لبطن و تمتع الناس بسعادة حقيقية و تحولت البقعة العربية إلى جنة أرضية، و بلغ الأمن و السلام مبلغاً لا يستطيع أحد أن يمد يده في الصحراء إلى مجوز تحمل متاعها و تسافر وحدها، إن هذا الانقلاب العظيم الذي ينعدم نظيره في التاريخ قد حير الحكماء و المفكرين و أدهش عقول الفلاسفة و المؤرخين و لم يجدوا لذلك سبباً معقولاً في ظنهم بيد أن ذلك كان نتيجة لاقامة حكم الله و إجراء حدوده في عباده، فإن الله

تعالى رؤوف بالناس رحيم بهم فيجب ان يكون تشريعه الذي ازاله للناس رحمة لهم متكفلا بسعادة الدنيا والآخرة .  
ولذلك فان الاسلام قد رحم المجتمع كله والانسانية كلها بقتل القاتل والباغي ورجم الزاني المحسن وجلد الزاني الغير المحسن وشارب الخمر والقاذف وقطع يد السارق .

و من اهم اخطاء مفكرى الغرب انهم يقيسون المجتمع الاسلامي و الدولة الاسلامية على مجتمعاتهم و بلادهم التي يعيش فيها الانسان حراً طليقاً من كل قيد و تشريع و ضابطة خلقية و يكون ذهنه غالباً عن مواخذه الله و عقاب الآخرة ، فيرى نفسه حراً مستقلاً غير مسئول عن اعماله امام احد فلا يعمل عملاً إلا وفق ما توحى إليه شهواته وميوله النفسية ولا يرى غاية لوجوده إلا التمتع بالملذات و إرضاء الشهوات فيهبط لتحقيقها إلى مستوى أسفل من الحيوانية ويتجرد عن سائر القيود ويركز كل قواه على المادة والمعدة فيفعل ما يشاء لتحقيق شهوة المعدة واللذة الجسدية الفانية ولا يرى بأساً بالعبث بالأمن و الحرية وإهدار العصمة والنيل من أموال الناس وكراماتهم لإرضاء شهواته ، إنهم يقيسون المجتمع الاسلامي على مجتمعاتهم ويحسبون أن العقوبات تطبق كل حين في دولة إسلامية وتقع مجزرة هائلة من القتل والرجم وقطع الأيدي وضرب السياط مع أن الوضع يختلف تماماً في المجتمعات الغربية و الاسلامي في وقوع الجريمة .

فيندر وقوع الجرائم في المجتمع الاسلامي الذي يحاول أولاً وقاية المجتمع من دوافع الجريمة وأسباب الفساد ويعمل على توفير وسائل العيش ومرافق الحياة للناس وسد حاجاتهم ويساعد الفقراء والمساكين و العاطلين العاجزين و يوظفهم من بيت المال إذا كانوا يواجهون الفقر و الافلاس و يؤكد على الزواج المبكر و يحرص

كذلك على تنظيف المجتمع من الوسائل التي تثير الغرائز و الشهوات و تؤدي إلى الجرائم فلا مكانة في دولة إسلامية للأفلام العادية والصور الخليعة والصحافة الرخيصة الهابطة و الأدب الجنسي الساقط المفسد لعقلية الناشئة و الشباب و الأغاني المبتذلة والفتنة الهائجة في الطريق وصالات الرقص وحانات الخمر و ما إلى ذلك من أسباب الفواحش و الفساد .

وأعظم من كل ذلك عقيدة الآخرة التي يعتقد بها المرء المسلم فانها خير وازع ومانع عن ارتكاب الجرائم و الوقوع في محارم الله ، إن خوف الشرطة و المحكمة و قرارات البرلمان لن تطلق في الناس شعوراً بشناعة جريمة وان تكتفي لدرء الجرائم إذا لم يكونوا يؤمنون بدار الآخرة ويوم الحساب الذي يقوم به الناس لرب العالمين ، وتجزى كل نفس بما تسمى ، فالمرء المؤمن يخاف الله ويخشى عذابه ويحسب نفسه مسئولاً امام ربه الذي يشاهد كل عمله من خير وشر ويطلع على سر قلبه ونيته ، إن المؤمن يعرف أنه يستطيع أن يفلت من أيدي القانون و عقاب محكمة الدنيا بالرشوة وخدمة المحامين البارعين وشهود الزور ، ولكن كل ذلك لا يقنيه شيئاً من عذاب الله يوم القيامة ، من العذاب والعقاب الذي يفوق عقاب الأرض ملايين المرات شدة وألماً ، ولذلك يندر - بل ينعدم - وقوع الجرائم في المجتمع الاسلامي الذي عمل على تنفيذ شريعة الله و إقامة حدوده فلا يصح أن يقاس المجتمع الاسلامي على المجتمعات الغربية الذي تقع فيه الجرائم ليل نهار ، إن التاريخ يشهد بأن حد السرقة لم ينفذ في طول أربعة قرون إسلامية إلا ست مرات ، فلا تستهدف تلك العقوبات إلا تخويف الناس ومنعهم عن ارتكاب الجرائم ابتداءً .

وهنا نذكر على سبيل المثال المملكة العربية السعودية التي عملت على تنفيذ أحكام الله وتطبيق الحدود و القصاص وفق الشريعة الاسلامية و القانون الالهي

كما أدى إلى نفاذ المجتمع السعودي من الجرائم كلها إلا ما شذ عن هذه القاعدة فإذا تفحصنا النشرات الاحصائية للجرائم وقارنا بين جرائم السعودية وبين الجرائم التي في تقع البلاد الأوروبية وجدنا أن نسبة الجرائم تصل إلى العدم في السعودية بالنسبة إلى سائر البلدان الغربية .

و الأمر الثاني أن الاسلام قد بالغ في تحقيق الجرائم وعمل بالحيلة الزائدة في تنفيذ العقوبات لما أن النبي ﷺ قد أمر بدرء الحدود بالشبهات و لذلك ينظر فيها بدقة تامة وتسقط الحدود إذا حدثت فيها شبهة ما ، ولا تنفذ إلا إذا تحققت الجريمة بصورة المعاينة إذ المعاينة تقضى على جميع الشبهات أو اعترف بها الجاني بلسانه ولا يكون لجريمته مبرر معقول ، و التاريخ يشهد أن الخليفة الثاني أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضی الله عنه لم ينفذ حد السرقة في أيام الجماعة مخافة أن تقع منهم اضطراباً لسبب الجوع .

إن تلك الشبهات الغيبية الهزيلة حول نظام العقوبات في الاسلام لم تتولد إلا عن قلة التفكير أو سوء الفهم ، أو الباعث عليها هو التعصب الأعمى والعداء للسافر الذي يحمله دعاة الغرب بين جوانحهم تجاه الاسلام و منهجه البريء الوضاه الذي فيه حكمة بالغة ورحمة شاملة ، فعلى قادة الغرب و مفكريها أن يدرسوا أحكام الاسلام بدقة وإمعان منعزلين عن العصبية والحقد النفسى للاسلام ، فإن ذلك كالمناظر الأسود الذي يغير لون الأشياء ولا يسمح لصاحبه أن يرى الأمور على حقيقتها وليس من العجيب الغريب أن يدركوا كنهه التشريع الالهي ويتوصلوا إلى مصالح أحكامه و إلى ما يمتاز به المنهج الاسلامي من بين سائر المناهج و القوانين الوضعية من سمو و الفضائل و مكارم الاخلاق و الروحانية و شموله لكل نواحي الحياة ، واستيفائه جميع حاجات الانسان في كل زمان و مكان و توافقه الكامل و الانسجام التام مع الفطرة الانسانية و قضائه على جميع الفواحش و المنكرات بتحديد عقوبات رادعة ، إن قادة الغرب سيرون في التشريع الالهي حل الفوضى و الاضطراب و كثرة الجرائم و الفواحش

التي اكتسحت البلاد الغربية و التي فشلوا عن معالجتها و القضاء عليها بتشريعاتهم الوضعية ، إن جميع التجارب تؤكد أن أي منهج من الحياة يوضع معرضاً عن الهداية الالهية سبطل قاصراً عن تحقيق السعادة و الأمن و العدالة الاجتماعية و محاسن الاخلاق و عن منع الجرائم و الفواحش .

إن تلك التجارب القاسية المريرة تأمرنا بالعودة إلى نظام الاسلام و شريعته التي كانت مبنية على الحق و الرحمة بالانسانية - و التي لن نجد حلاً لمشاكل الحياة إلا في ظله و كنفه ، لأنها تأمرنا بالرجوع إلى قانون الله الذي هو أعرف بطبيعة الانسان و أكثر فهماً لقضاياها و مشكلاته .

فن واجب الناشئة المسلمة و الشباب المسلمين المثقفين أن يكونوا محبي الحقائق و لا ينساقوا مع أهل الغرب و دعاة الذين يعيشون في مقت و عداء سافر للاسلام و المسلمين ، و يثيرون الغبار حول تعاليم الاسلام السمحة و يشوهون الحقائق التاريخية و ينكرون التجارب العلمية الثابتة لاثبات إدعائهم الكاذبة و مزعماتهم الباطلة و يضحمون الأشياء النافذة الحقيمة و يقومون بادعاءات مدهشة غريبة بدون أي أساس فليس من المستغرب أن يحاولوا لاثبات النهار ليلاً و يسخروا من العقوبات الاسلامية التي لا تقوم بدونها مدينة صالحة على وجه الارض .

فعل أبناء الاسلام أن لا يتأثروا بهتافات الغرب و دعواتهم الكاذبة و يدرسوا قوانين الاسلام العادلة الحكيمة التي توافق العقول السليمة و الفطرة المستقيمة و تتسجم مع الطبيعة البشرية كل الانسجام و تصلح لقيادة البشرية في كل زمان و مكان و تضمن لها السعادة و الرحمة و الهناء و الرخاء و الفوز في الدنيا و الآخرة ، و أن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه و لا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، و من يتبع غير الاسلام ديناً فإن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ، و من أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه و لا خوف عليهم و لا هم يحزنون .

و المؤلم في ذلك الحث الحثيث و الدفع القوي على تشجيع ابنائنا على تأليف اطروحات لنيل درجات عليية تارة باسم : الأدب الشعبي ، و كان يمكن تطويره - لو حسنت الفيات - إلى فصحي مقبولة متوسطة .

و الأشد إيلاماً أن تخصص منح دراسية ، و راءها دفع قوى ، لاجراء لهجات عنى عليها الزمن ، أو تستعمل محلياً في أضيق نطاق ، مثل البربرية في شمال المغرب العربي و لهجات المشرق في سوريا و لبنان و مصر . . . و منح أرفع الدرجات العلية على ذلك ، و إنشاء كراسي لدراستها في الجامعات في الشرق و الغرب على السواء ، في محاولات للتشويش على الفصحى و لغة الضاد بالذات ، لأنها و عاء الوحي للقرآن الكريم و السنة النبوية

و جر هذا و ذلك إلى المنادة بالعامية كافة تأليف و كتابة و خطابة في كل بلد عربي ، حمل لواءها أبناء - عاقون - للعربية أكثر مما حملها غرباء و بعداء ، و لكن لهم أن يحمداوا الله على خيبتهم في مبتغاهم . . . و نشكره سبحانه على نجاح الغيورين على لغة الضاد ، و دفاعهم عنها . فالقرآن بلسان عربي مبين ، و محفوظ بلفظه بحفظ الله القوي : « إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون » (١) .

فدراسة اللهجات لخدمة الفصحى عمل مشكور ، و أما لتشويهها و التشنيع عليها و تمزيقها فعمل منكور ، يجب أن يقارم ، و ما يبذل في دراسة ذلك من جهد و مال و وقت حقه أن يبذل في سبيل خدمة الفصحى تعليماً و تعلاً ، و القضاء على الأمية المعيبة للرجوع إلى الفصحى .

و من حق الجهات المعنية بالدلم و التعليم و الاعلام أن تعنى ببذل جهد يرفع من شأن العربية الفصحى .

(١) سورة الحجر آية ٩ .

## اللهجات العربية : مظاهرها و تعلياتها

بين القديم و الحديث

للدكتور توفيق محمد شاهين

اللهجة من لهج بكذا إذا أولع به ، و المهجته بالشئ أى طوبته به إذا لهج به لهجاً (١) جاء ذلك في أساس البلاغة للإمام الزمخشري رحمه الله تعالى ، و إذا أولع الانسان بشئ فن الصعوبة بمكان أنه يباينه أو ينفصم عنه ، وهذا ما ستحدث عنه فيما بعد .

و اللهجات شئ حتى و مقدر على اللغات ، لا تستطيع الفكك منه و لا الحرب منها اشتدت العناية في الوقاية منه ، لأسباب عددا علماء أصول اللغات . و دراسة اللغات أو اللهجات و رصد سماتها و رسم ملامحها مما يفيد التاريخ اللغوي ، و تفسير ما نجد منها مبثوثاً بين ثنايا أمهات الكتب الأدبية و التاريخ ، أو قواميس اللغة ، و تنوع القراءات القرآنية .

أما دراسته كتمزيق للغة الأم ، و الظهور به كندب سود في وجه اللغة و لتشويش عليها ، فذلك عمل لا يليق بمن يسمون بزي العلماء ، أو يتسبون إلى العلم في أى أمة و ملة .

و مما يريب حديثاً : عناية المستشرقين المعنيين بدراسة اللهجات ، فصيحها و عامها ، و عمل أطالس لها ، و اللهج بها في شمولية و تفصيل بالنسبة للغة العربية بالذات و ما يمكن من غيرها في أرجاء الوطن العربي من أقصاه إلى أقصاه .

(١) أساس البلاغة للزمخشري مادة ( لهج ) .

و قد لاحظ بعض المنصفين للدراسات اللغوية وجود صلات بين عدد من اللهجات قديماً وحديثاً في أماكن قريبة الشقة بين بعضها ، مثل : سوريا وفلسطين ، و أن المتعلمين في هذه الأماكن عدلوا عن اللهجات الخاصة إلى العربية الفصحى ، و معنى هذا أن العناية بالتعليم أثرها في رفعة شأن العربية ، و أن للامية أو الجهل دخل كبير في المحافظة على اللهجات التي تشوه وجه العربية الفصحى .

فن الأعمال اللغوية العلمية عن اللهجات ، ما ذكره الدكتور رمضان عبد التواب في مجلة مجمع اللغة العربية ( ١ ) عن : ( الجغرافيا اللغوية و أطلس « براجشتراسر » بين فيه صلة علم اللغة الوثيقة بالعلوم الأخرى ، و يعالج بطرائقها ظواهر اللغة و يكشف أسرارها ، و الأدوات اللازمة لعالم اللغة لدراسة الأصوات اللغوية ، ثم صلة علم اللغة بالجغرافيا لوضع الخرائط و معرفة الحدود اللغوية و صلاتها اللهجية ، و الفروق بين كل لهجة و أخرى ثم صلتها باللهجات القديمة المماثلة ، و بيان الفروق الصوتية ، ثم دراسة المفردات من حيث البنية و المترادفات ، و حفظ ذلك من الذبوع و الانتشار أو الانحسار . . .

و قال : إن هذا اللون من الدراسة يعد من أحدث وسائل البحث في علم اللغة لبيان الصلة و تبيان الفروق ، و تسجيل الواقع اللغوي المعاش يجمعها في النهاية أطلس لغوي عام ، و يتمنى الدكتور رمضان عبد التواب أن ينهض ذلك اللون من الدراسة في بلادنا .

و الطريف أن « براجشتراسر » مستشرق ألماني شهير نال الدكتوراة من جامعة « ليدج » سنة ١٩١١ م برسالة عن « استعمال حروف النفي في القرآن الكريم » ، و دعته جامعة القاهرة لالقاء محاضرات في كلية الآداب سنتي ٢٩ / ١٩٣٠ م عن النحو المقارن بعنوان : « التطور النحوي لغة العربية » .

( ١ ) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ج ٢٧ مايو سنة ١٩٧٦ .

و يعتبر أطلسه وثيقة لغوية لبلاد سوريا و فلسطين ، عليه يشير شاكلة انتباه ، لدراسة تتبعية ناقمة على غرار ما قدم في أطلسه ، و الذي لقي فيه مشقة بالغة ، حتى ظهر في صورته المنهجية العلمية .

و من ملاحظاته في أطلسه في الناحية الصوتية :

( إن الكاف تنطق بنطقتين مختلفتين بين البدو و الحضر ، و إن ككشكشة الكاف لا تسود على العموم في الحضر إلا في منطقة صغيرة ، و على الأخص في تلك الجهات التي تحول فيها البدو إلى مستوطنين في العصر الحديث ، و أن المدن كلها تنطق بصوت الكاف ، و أن مدينة « السلط » تنطق الكاف بالكشكشة ، فيما عدا المتعلمين فيها ، إذ ينطقون بالكاف ، و إن منطقة عنيزة في الشمال تنطق الكاف بالكشكشة ... ) ( ١ ) .

فالكشكشة و الككشة لا تتأني إلا مع غير المثقفين اليوم ، و تدور مع البدو حيث داروا . . . و قد نأى عن استعمالها المثقفون ، لأنها أثر تاريخي ليس من حقه أن يعيش إلا في زوايا التاريخ و على هامشه ، فن يشجع عليه في عمل إعلامي ، أو واقع اجتماعي معاش اليوم ، فذلك عمل منكور غير مشكور .

و أن تعجب فتعجب أني دعيت إلى عمل ثقافي في بعض ولايات أميركا الشمالية في العام الماضي ، فوجدت الكشكشة و الككشة و غيرها من اللهجات المشار إليها تعيش مع بعض النازحين للهجرة إلى أميركا من سنين طويلة تبيف على الأربعين عاماً . . . و يتكلمها نفر من نفس الجهات التي تحدث عنها الأطلس المذكور ، و ما زال هناك من يستعملها مع أسرته و أقاربه و معارفه في محطه في طلاقة و لهج و تعلق ، و يشارك بها في الأعمال الترويحية في نفس البيئة الخاصة بهم بما يسمى

( ١ ) المرجع السابق .

بالادب الشعبي دون سام أو ملل ، و إذا كان لهؤلاء عذرهم في بقائهم على أميتهم برغم سنوات العيش الطويلة في بلاد ( التكنولوجيا ) المتقدمة و العلم المتاح . . .  
فما عذر وسائل الاعلام في بلادنا تنقل ذلك في تمثيلات شائعة و هادفة :  
فقد دعيت إلى ليبيا لعمل ثقافي أيضاً في ذلك العام ، و قدر لي أن أشاهد برامج ( التلفزيون ) لبلا على مدى أسبوع في مسلسل مصنوع في بلاد الخليج ، و مسوق إلى ليبيا ، و ينطق الكشكشة و الكسكسة و غيرها بدون أدنى تكبير .  
و لو نطق أصحابه بالفصحى ل زاد الأمر جمالا و روعة .  
والأمر اذن - في اعتبار كل غير على الفصحى - يقتضى تصحيحا ، و إعلالا للفصحى و دفعا إلى النهوض بها .

و قد سجلت الظواهر اللهجية للذين ما زالوا يعاشونها في أميركا اليوم ، و الذين وفدت إليهم في ليبيا من الخليج العربي في إذاعة مرئية . . و هي في مضمونها عند أولئك و هؤلاء لا تخرج عما سطره خبراء اللغات و ملاحظوها ومدونوها في كثير من مظاهرها .

وخير من إعادتها يحمل بنا أن نرى بعض هذه الظواهر اللهجية كما نظر إليها المجمع اللغوي بالقاهرة ( ١ ) تحت بصر علمائه ، ونقل خبرائه ، ففيها دقة عما رددناه في كتب اللهجات من قبل ، و فيها بالتالي معاشة لامتداد بعضها إلى اليوم .  
الكسكسة :

ربما كان مصطلح « الكسكسة » قد وضع قياساً على مصطلح « الكشكشة » مراعاة للتوازي في الظاهرة « الصوتية » .

و قد اختلف وصف القدماء لها فقبل إنها :

( ١ ) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة - المجلد العشرون سنة ١٩٧٨ م ص ١٢٠ .

( أ ) زيادة السين بعد كاف المؤنث مثل : اعطيتكس ، ومنكس ، و هذا في الوقف دون الوصل .

( ب ) ابدال السين من كاف الخطاب للمؤنث مثل : أبوس وأمس ، اى أبوك وأملك . و قد اقتصر ابن جنى على التمثيل بكلمات : اعطيتكس ، ومنكس ، وعكس ، وهذا في الوقف دون الوصل ، ومعنى ذلك أنه يرى أيضاً اقتصارها على حالة المؤنث . و كذلك فعل الحريري ، قال :

« يزيدون على كاف المؤنث في الوقف سينا ، ليينوا حركة الكاف ، فيقولون : مررت بكس » .

و لكن السبوطى ينفرد بواوية ، فيرى أن الكسكسة نظير الكشكشة في لسان ربيعة و مضر ، و مضر أولهما للذكر ، و الثانية للمؤنث .

ويذكر في وصف الظاهرة : « إنهم يجعلون بعد الكاف أو مكانها في المذكر سينا » . و كذلك الحال في « الكشكشة » حيث قال : « يجعلون بعد كاف الخطاب في المؤنث سينا ، و منهم من يثبتها في حالة الوقف فقط ، وهو الأشهر ، و منهم من يثبتها في الوصل سينا » .

و منهم من يجعلها من الكاف و يكسرها في الوصل و يسكنها في الوقف . . و هذا من حيث الوصف القديم للظاهرة ، و أما فيما يتعلق بنسبتها ، فالمشهور أنها لهوازن ، و ذكر السبوطى فيما سبق أنها في ربيعة و مضر ، و ينسبها الحريري إلى بكر .

و يبدو أن المقصود بهذه القبائل كلها منطقة لهجية بدوية حيث تقرب مواطن هوازن من مواطن بكر ، و هي إجمالاً منطقة نجد .

و قريب من هذه الظاهرة ما في بعض المناطق الآن شرق الجزيرة العربية ،

حيث ينطقون « الكاف » في بعض المواضع من الكلمة و كاف المؤنثة مطلقا - صوتا مركبا من التاء و السين ، فيقولون : « تسيف / حاتس » وربما كانت هذه الصورة المعاصرة تطورا عن تلك .

و إذا افترضنا اتصال الحاضر اللغوي بالماضي فمن المرجح أن التوزيع اللهجي يقوم على أساس أن بعض القبائل تنطق الكشكشة ، و بعضها تنطق الكسكسة .  
أما التفسير الصوتي فرجعه إلى تطور الصوت الانفجاري « الكاف » إلى صوت مركب من انفجار و احتكاك : « تس » و في المؤتمر ذكر الأستاذ عبد الله بن خميس : أن الكسكسة تنسب إلى يام و هي قحطانية و ينطقون « سيف حاش » لا تسيف حاتس ، فنطقهم بين السين و الشين .

## الكشكشة :

هي في اللغة : صوت الأفعى ، أو للابل ، أو صوت غليان الشراب ، ويراد بها في الاصطلاح صورتان :

- ١- اجتماع الكاف و الشين في مثل : منكش .
  - ٢- سقوط الكاف و ظهور الشين في مثل : منش .
- وينسبها سيويه إلى ناس من تميم و ناس من أسد و ينسبها ابن جني إلى ربيعة .  
و يصف سيويه الصورة الأولى بقوله : و قوم يلحقون الشين ليبيّنوا بها الكسرة في الوقف ، كما أبدلوا مكانها لليان ، و ذلك قولهم : اعطيتكش . و اكرمكش ، فإذا وصلوا تركوها .

و هذا هو ما يقرره أيضاً ابن جني في قوله : « و أما كشكشة ربيعة فأنما يريد قولها مع كاف ضمير المؤنث : انكش ، و رأيتكش ، و اعطيتكش ، تفعل هذا في الوقف ، فإذا وصلت أسقطت الشين » .

و يصف سيويه الصورة الثانية بقوله : يجعلون مكان للكاف للمؤنث الشين ، و بذلك أنهم أرادوا البيان في الوقف ، لأنها ساكنة في الوقف ، فأرادوا أن يفصلوا بين المذكر و المؤنث و أرادوا التحقيق و التوكيد في الفصل ، لأنهم إذا فصلوا بين المذكر و المؤنث بحرف كان أقوى من أن يفصلوا بحركة ، و ذلك قولك أنش ذاهبة ، و مالش ذاهبة ، يريد إنك و مالك .

و قد تعرض الحريري لهذه الصورة في قوله : « و أما كشكشة ربيعة فأنهم يدلون عند الوقف كاف المخاطبة شيئا فيقولون للراة « و يحك مالش » ، ثم يذكر أن من ربيعة من يجرى الوصل بجرى الوقف فيبدل الكاف فيه أيضاً شيئا ، و طبه أنشد بيت المجنون :

فعيناش عيناها و جبدش جديها  
ولكن عظم الساق منش دقبي (١)

و فيما تقدم تقطنان :

الأولى : إن الظاهرة في صورتها ، بحسب الروايات المختلفة تنسب إلى البدو :  
الثانية : علاقة هذا المنطق الموصوف في الصورة الأولى باللهجات المعاصرة :

فالمسموع على السنة كثير من العراقيين و عرب الخليج : نطق الكاف في حالة التأنيث صوتاً مركباً ( ch ) كما في الإنجليزية ، و قد يفعلون ذلك في غير كاف التأنيث المكسورة و في غير نهاية الكلمة ، فيقولون « ش لوتش » كما يقولون - « تشم معاشتش » يريدون « كم معاشك » أي : مرتبك ، و قد نسمع هذا النطق في بعض قرى المحافظة الشرقية .

و عن الصورة الثانية يذكر عن طهجة صنعاء أنهم يلقون كاف المخاطبة المؤنثة شيئاً فيقولون ( اخوش ) في « أخوك » .

و من الواضح أن الصورة الثانية الشائعة في اليمن الآن ، وهي إبدال الكاف شينا استمراراً للنطق القديم الذي وصفه بعض اللغويين القدامى بأنه « شنشنة » و وصفه بعضهم بأنه كشكشة .  
أما الصورة الأولى : وهي التي تنتشر في العراق و الخليج العربي و تتمثل في نطق الكاف « صوتاً » من مخرج التاء فهي امتداد أو تطور للنطق القديم الذي اطلق عليه اللغويون الكشكشة .

الخلخانية :

يفسرها اللغويون بأنها : المكتة والمعجمة في الكلام ، أو هي المعجز عن إرداف الكلام بعضه ببعض ، و قيل : لأنها منسوبة إلى « خلخان » قبيلة أو موضع ، وهي تعرض في لغة أعراب الشجر ، و عمان ، كقولهم « منشأ الله » في « ما شاء الله » و ناس ينسبونها إلى العراق حيث يقولون خلخانية العراق ، وفي العربية الحديثة في مصر نجد أمثلة كثيرة منها « عشان » بدل « على شان » و « إنشا الله » في « إن شاء الله » و « اعزن » بدلا من « اعزان » و « اكن » بدلا من « كما أن » .  
وسبب ذلك ما تعرض له بعض الألفاظ في لغة من اللغات من كثرة دورانها

على الألسنة ، أو من تكرار ورودها في مواقف لا تستلزم تأكيد النطق والعناية به ، وذلك مما يترتب عليه تغيرات عديدة في التركيب المقطعي للعبارة أو في نظام نبرها :  
أو نحو ذلك .

الاستطاء :

هو نطق بعض العرب نونا في موضع اللين الساكنة قبل طاء ، و لم يرد في اللغة شاهد على هذه الظاهرة سوى الفعل « انطى » بمعنى أعطى ، وكذا ما تصرف من هذا الفعل .

و قد رأى الجوهري أنها لغة اليمن ، و نسبها الفيروز آبادي إلى سعد بن بكر و الأزدي ، و قيس ، و الأنصار ، و كل هؤلاء من اليمن ، كما ذكر أن من بين من يتحدثون بها هذيلة وهي عدنانية ، و ذكر أبو زكريا التبريزي أنها لغة للعرب العاربة من أولى قريش ، و أورد أمثلة في صيغ مختلفة ، نسبت إلى النبي ﷺ ، منها قوله : « اليد المنطية خير من اليد السفلى » ، و قوله : « لا مانع لما انطيت » ، و في كتابه إلى تميم الداري : « هذا ما أنطى رسول الله ﷺ » .

و قد ورد هذا الاستطاء في بعض القراءات المنسوبة إلى أبي و ابن مسعود ، و الحسن بن علي و طلحة ، و ابن عبيصن في قوله تعالى : « أنا أنطيناك الكوثر » ، و ما زال كثير من العراقيين حتى اليوم يستعملون هذا الفعل في مخاطبتهم « انطى » و ليس من المقبول تفسير هذا التحول في الفعل « اعطى » إلى « انطى » على أساس صوتي يفترض الإبدال ، إذ لا قرابة بين النون والعين ، و لكن من الممكن اعتبار هذا الفعل بهذه الصورة خاصة بيئته معبنة في معنى « اعطى » الذي شاع في البيئات الأخرى .  
و في المؤتمر ذكر الأستاذ عبد الله بن خميس أن الاستطاء ليس لعدنان و لكن لطي .

الوتم :

هو في اللغة السير الشديد ، و في الاصطلاح قلب السين تاء نحو التات ، في الناس ، و الأكيات في الأكياس ، و لبات : في لا بأس ، و تنسب إلى أهل اليمن ، و نسب اللسان بعض أمثلتها إلى حمير .

و تفسر هذا الإبدال من الناحية الصوتية أن السين و التاء متقاربتان في المخرج و متحدتان في الحنجر ، و لكن التاء شديدة و السين رخوة ، و قد جرى نطق البدو - و منهم أهل اليمن - على إظهار الصوت الشديد في النطق على حين يؤثر أهل الحضرة الصوت الرخو .

الوكم : هو في اللغة : القمع والجزر ، وفي الاصطلاح كسر كاف جماعة المخاطبين إذا كان قبلها ياء أو كسرة مثل : السلام عليكم و لكم ، و يبدو أن كلمة « الوكم » لوحظ فيها وجود ضمير الكاف والميم فبنى منها « الوكم » اسماً لهذه الظاهرة اللهجية . و تعزى إلى ربيعة ، و قوم من كلب ، و ناس من بكر بن وائل . و تفسر هذه الظاهرة من الناحية الصوتية يعتمد على قانون التوافق في أصوات اللين إذ لما كان هذا الضمير مضموماً ، و كان مسبوقة بكسرة في مثل « بكم » أو ياء مثل : عليكم - فقد جرت العادة المنطقية لدى هذه القبائل بنطق الكلمة على وتيرة واحدة من الكسر فقالوا « عليكم » ، و بكم ، و خاصة إذا لاحظنا أن الانتقال من الكسر إلى الضم معناه الانتقال من الحركة الامامية إلى الحركة الخلفية و هو بناء تجنبت اللغة في بعض أوزانها ، فلم يأت على السنة الفصحاء كلمة على وزن ( فعل ) إلا شذوذاً .

ويشيع في العامية المصرية مثل هذا التوافق الصوتي في بعض الصيغ على وزن ( فعمل ) وصفاً أو جمعاً ، فقالوا في كبير : كبيرة وفي حمير : حمير ، وفي معيز معيز وفي المجلس و المؤتمر أضاف الأستاذ محمد شوقي أمين أن هذه الظاهرة تمتد إلى أصول عربية فصيحة فهي ترجع إلى تميم و ربيعة و قيس .

الوهم : هو في اللغة : لا علاقة له بالمعنى الاصطلاحي . و في الاصطلاح : كسر هاء جماعة الغائبين في الضمير المتصل « هم » مطلقاً ، مثل : فيهم و عنهم و بينهم . و تعزى إلى بني كلب ، و هم بعض من نسب إليهم « الوكم » و يبدو أن « الوهم » صيغة لوحظ فيها وجود ضمير الهاء والميم ، فبنى منها « الوهم » اسماً لهذه الظاهرة اللهجية .

ومن المعروف أن هذا الضمير لا يكسر في الفصحى إلا إذا سبق بكسرة قصيرة أو طويلة أو سبق ياء ساكنة ، كما يقال « نظرت في كتابهم » ، و لست أفاضيهم ، و « أنسى عليهم » ، وفيما عدا ذلك فالضمير مضموم مثل : كتابهم ، ورحامهم ، وقولهم .

فكان هؤلاء قد طردوا الكسر في كل هاء دون تعبد .  
و بسد :

ففي هذا التسجيل للهجات تعريف دقيق لمظاهرها و ظواهرها . و تنظير للمصطلحات و تعليل بمراعاة التوازي في الظواهر الصوتية . وملاحظة ما اتصفت به الظاهرة في القديم وفي الحديث على السواء ، وتوثيقها بالقرآن الكريم و السنة النبوية في شواهدا . و تحديد الأماكن الجغرافية ، و مساكن القبائل الذين لهجوا هذه اللهجات في القديم و الحديث .

و نسبة المصطلحات إلى أربابها ، على خلاف بين العلماء الأقدمين في ذلك ، مما يتطلب مزيد نظر ، عسى أن يقود ذلك إلى التحديد الدقيق . و تفسير أو مرد اللهجة إلى تعليل صوتي من علمائنا القدامى ، مثل : سيويه و ابن جنى ، رحمهما الله .

و محاولة لتعليل نشأة اللهجة على أسس مقبولة و منهجية . و إشارة إلى ما أخذ من عرب الشمال ( العدنانية ) ، و عرب الجنوب ( القحطانية ) و التأثر فيما أثر عنهما ، بينهما نظراً للهجرات و المجاورة . و جواز مرور و تجويز للهجات القديمة ، حيث تكلم بها الرسول - ﷺ - و القراءات التي نسبت إلى كبار الصحابة ، مثل : أبي بن كعب ، و ابن مسعود ، و الحسن بن علي ، و طلحة و ابن عبيصن و غيرهم - رضی الله عنهم أجمعين . و مشاركة علمائنا الأفاضل في إرساء القواعد اللهجية ، كمثل : سيويه ، و ابن جنى و الجوهري ، و الفيروز آبادي ، و الحريري ، و ابن زكريا التبريزي ، و السيوطي رحمهم الله .

و ذكر الأماكن التي ما زالت الظاهرة اللهجية تتردد فيها اليوم مثل : العراق و عرب الخليج ، و اليمن ، و مصر . و الله الهادي إلى سواء السبيل .

بأنها وصفته بالمهذار حينما ردت عليه في قصة المهراس ، و من المعلوم أن الذي رد على أبي هريرة هو قين الأشجعي لا عائشة .  
و إليكم الآن قصص مزاحه و دعابته :

« جاءه شاب فقال : يا أبا هريرة إنى أصبحت صائماً ، فدخلت على أبي جحافى بجنين و لحم فأكلت ناسياً ، فقال : طعمة أطعمكها الله لا عليك ، قال ثم دخلت داراً لأهلى الجبى بلبن لقمعة فشربته ناسياً ، قال لا عليك ، قال ثم نمت فاستيقظت فشربت ماءً و في رواية و جاءت ناسياً ، فقال أبو هريرة : إنك يا ابن أخي لم تعتد الصيام ، (١) .

« إن أبا هريرة أقبل في السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة مروان فقال أوسع الطريق للامير يا ابن أبي مالك ، فقلت أصاحك الله تالق هذا ، فقال أوسع الطريق للامير و الحزمة عليه (٢) .

« و قال حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي رافع : كان مروان ربما استخلف أبا هريرة على المدينة فيركب الحمار و يلقي الرجل ، فيقول : الطريق قد جاء الأمير يعني نفسه ، (٣) .

لا أدري هذه القصص التي سردناها تدل على خفة عقل أبي هريرة أم تدل على شخصيته المرحة المتلطفة ، المداعبة ، إنه لم يكن جافاً غليظ القلب بل كان يحمل في جنباته طبيعة مرحة .

إن هذا النوع من المزاح لا يحط من قدر أبي هريرة ولا ينال من شأنه ، لأنه عاش خمسين سنة بعد هجرته إلى المدينة المنورة لكنه لم ينقل إلينا أى مصدر موثوق به أن الصحابة طابوا عليه هذا النوم من المزاح .

## أبو هريرة رضى الله عنه

« صحابى مظلوم و مفرى عليه ،

الأخ صدر الحسن الندوى

### الشبهة الثامنة :

إنه كان مصاباً بالصرع و استدل بما أخرجه البخارى عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه « لقد رأيتنى أصرع بين منبر رسول الله ﷺ و حجرة عائشة ، فيقال مجنون و ما بى إلا الجوع » .

الرد الاستدلال بكلمة « أصرع » التي وردت في هذا الأثر لا يدل إلا على خفة عقل المستدل و يبدو أنه كان مصاباً بالصرع و الأمراض النفسية عند كتابة هذه الكلمات ، إنه استدل بالشق الأول من الأثر و أغفل الشق الثانى من الأثر الذى يشرح فيه أبو هريرة حقيقة الصرع بقوله « وما بى جنون و ما بى إلا الجوع » لا بد للباحث المحقق أن يأتى بالبراهين والحجج القوية إذا أراد أن يحكم على شئ ، و أتذكر هنا قصة ذات أهمية بالغة للعلامة السيد سليمان الندوى صاحب السيرة النبوية ، أنه أسند إلى بعض طلابه أن يكتب عدة صفحات حول موضوع تاريخى ، فكتب الطالب وعرضه عليه ، فقرأه الأستاذ واستحسنه ثم سأل عن بعض محتوياته ، من أين جئت بها ، فقال الطالب ، كتبه قياساً على الحادثة الفلانية بدون الاستناد إلى دليل فنبهه الأستاذ عليه و قال : « عليك أن تكتب التاريخ و حرام عليك أن تضع التاريخ » .

### الشبهة التاسعة :

إنه كان خفيف العقل مزاحاً و مهذاراً ( ص : ٢٠٠ ) .

الرد : استدل على هذه الافتراء السافر بالاجماع و بقول عائشة رضى الله عنها

(١) ، (٢) البداية و النهاية : ١١٤ . (٣) البداية و النهاية : ١١٣ .

بل ثبت المزاح عن غيره من الصحابة و الرواية تقول .

عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفریقی : قال حدثني أبي أنهم كانوا غزاة في البحر زمن معاوية ، فانضم مركبنا إلى مركب أبي أيوب الأنصاري ، فلما حضر غداؤنا أرسلنا إليه فأتانا ، فقال دعوتوني وأنا صائم فلم يكن لي بد من أن أجيبكم لأنني سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن للسلم على أخيه ست خصال واجبة ، إن ترك منها شيئاً فقد ترك حقاً واجباً لأخيه عليه ، يسلم عليه إذا لقيه ، و يجيبه إذا دعاه ، ويشمته إذا عطس ، ويعوده إذا مرض ، و يحضره إذا مات ، وينصحه إذا استصحه ، قال و كان معنا رجل مزاح يقول لرجل أصاب طعامنا : جزاك الله خيراً و براً ، فغضب عليه حين أكثر عليه ، فقال لأبي أيوب ما ترى في رجل إذا قلت له : جزاك الله خيراً و براً غضب و شتمني ، فقال أبو أيوب : إنا كنا نقول إن من لم يصلحه الخير أصلحه الشر ، فأقلب عليه ، فقال له حين أتاه : جزاك الله شراً و عراً ، فضحك ورضى وقال ما ندع مزاحك ؟ فقال الرجل : جزى الله أبا أيوب الأنصاري خيراً (١) .

بل ثبت المزاح عن النبي ﷺ ، فإذا يقول أبو هريرة في النبي المعصوم ؟

عن أبي هريرة قالوا : يا رسول الله إنك تداعبنا ، قال : إني لا أقول إلا حقاً (٢) .

عن أنس بن مالك ، قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ يستحمله ، فقال أنا حاملك على ولد ناقه ، قال يا رسول الله ﷺ وما أصنع بولد ناقه ، فقال رسول الله ﷺ و هل تلد الأبل إلا النوق (٣) .

(١) فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد للبخاري : ٤٥٦/١ الطبعة الثانية المطبعة السلفية مصر ، مؤلفه : فضل الله الجبلائي .

(٢) المصدر نفسه : ٣٦٥/١ . (٣) نفس المصدر : ٣٦٥/١ .

قال : سمعت أنس بن مالك يقول : كان ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير : يا أبا عمير ما فعل النغير (١) .  
إليك نبذة من مداعبة الأئمة :

وقع بين الأعمش وامراته وحشة فسال بعض اصحابه فقال أبو حنيفة : يصلح بينكما ، فذهب إليه ، فقال : هذا سيدنا و شيخنا فلا يزهونك عمش هنيهة وحموشة ساقيه و ضعف ركبتيه و قزل رجله . . و جعل يصف ، فقال الأعمش ، قم عنا قبحك الله فقد ذكرت لها من عيوب ما لم تكن تعرفه (٢) .

جاء رجل إلى أبي حنيفة فقال له : إذا نزع ثيابي ودخلت النهر اغتسل ، فالي القبلة أتوجه أو إلى غيرها ، فقال له : الأفضل أن يكون وجهك إلى جهة ثيابك لئلا تسرق (٣) .

سأل الشعبي رجل عن المسح على اللحية ، فقال : خللها بأصابعك ، فقال : أعاف أن لا تبلها ، قال الشعبي : إن خضت فانقعها من أول الليل (٤) .

وسأله الآخر هل يجوز للحرم أن يحك بدنه ؟ قال نعم ، قال : مقداركم : قال : حتى يبدو العظم (٥) .

قال الشعبي : تسحروا ولو بأن يضع أحدكم إصبعه على التراب ثم يضعها في فيه ، فقال رجل : أي الأصابع ، فتناول الشعبي إبهام رجله وقال : هذا (٦) .

(١) نفس المصدر : ٣٦٥/١ . (٢) نفس المصدر : ٣٦٤/١ .

(٣) شرح الأدب المفرد فضل الله الصمد : ٣٦٤/١ .

(٤) نفس المصدر : ٣٦٤/١ .

(٥) المصدر نفسه : ٣٦٤/١ .

(٦) المصدر نفسه : ٣٦٤/١ .

## الشبهة العاشرة :

عديد من الشبهات يدور حول أكله ، فقالوا : كان أكلوا ، و كان يدعى شيخ المضيرة ، و كان يطوف بالبيت وهو يقول ، ويل لى من بطنى إذا أشبعته كظنى و إن أجمته سبنى أو أضعفى ، و كان يأكل المضيرة عند معاوية ويصل وراءه على ، و كان يستقرى الرجل الآية وهى معه كى ينقلب به فيطعمه و كان يفعل ذلك مع جعفر بن أبى طالب و من أجل ذلك جعل أبو هريرة جعفر بن أبى طالب أفضل من أبى بكر وعمر وعلى وعثمان وغيرهم من كبار الصحابة ، (ص : ١٩٧) .

## الرد :

أما إنه كان أكلوا فلم ترد به أية رواية صحيحة موثوق بها ، و أما إنه كان يدعى شيخ المضيرة ، فعلى المعارض أن يثبت هذه الرواية بسند متصل صحيح ، و على فرض صحته نقول ، هذا الوصف لا يبرى بشخصية أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ، فان كل إنسان يجب نوعاً معيناً من الطعام إزاء الأطعمة الأخرى ، و كذلك لكل قوم تقاليد .

أهل الصين يشربون الشأى بالملح و يأكلون السمك بالسكر ، العرب والغرب يشربون الشأى بدون الحليب و أهل الهند و الباكستان و ما جاورهما من البلدان لا يشربون الشأى بدون الحليب ، و كذلك لا يأكلون الخضراوات و الأسماك واللحوم إلا بالفلفل الأحمر مع البهارات الأخرى فى مقدار لا يستهان به ، و العرب لا يستطيعون أن يأكلوا هذه الأشياء بالفلفل الأحمر ولو لقمة واحدة .

فاذا كان أبو هريرة يجب نوعاً معيناً من الطعام فما الذى يبرى بشخصيته ، فقد كان أفضل المرسلين وسيد الأنبياء و إمام الزاهدين يجب التريد والدباء والذراع من اللحم ، ولم يحرم الله على عباده الطيبات من الرزق ، قال تعالى .

« قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين

آمنوا فى الحياة الدنيا غالبة يوم القيامة كذلك تفصل الآيات لقوم يعلمون (١) ، ثم ليس من المقبول أن يعاب الرجل على ميوله و رغباته و عاداته الشخصية ما دام قد أباحها الشرع ، لانه لا يمكن أن يعيش الناس كلهم على غرار و منهج واحد ، بل نرى أخوين شقيقين يجب أحدهما نوعاً معيناً من الطعام أو السيارة أو اللون و الآخر يجب غير ما يحبه شقيقه ، لذلك لا داعى إلى الاعتراض على مثل هذه الأمور .

لذلك لما ندد الغرب بحياة النبى ﷺ الزوجية استناداً إلى المقاييس الغربية ، قام واحد منهم وفند آراءهم حيث قال :

« إنه لا داعى إلى قياس حياة محمد الزوجية بالمقاييس الغربية ولا الحكم عليها من وجهة نظر التقاليد و القوانين التى مستها المسيحية فى الغرب ، فلم يكونوا أولئك الرجال - العرب - غربيين ولا مسيحيين ، إنما نشأوا فى بلاد وفى عصر كان يسود عليه نظامهم الخلقى الخاص ، ورغم كل ذلك لا مبرر لتفضيل النظام الخلقى الأمريكى أو الأوروبى على النظام الخلقى العربى ، إن الغربيين لا يزالون فى حاجة إلى بحث دقيق و تمحيص كبير لتفضيل النظام الخلقى و طريقة حياتهم على غيرها ، فطبيهم أن يتجنبوا الطعن فى ديانات أخرى و مدنيت أخرى » (٢) .

أما أنه كان يأكل المضيرة عند معاوية ويصل وراءه على ، فليس لهذه القصة أصل فى الكتب الموثوق بها إلا ما ترويه الكتب الأدبية و كتب الشيعة ، وما أدراك ما كتب الشيعة ، إنهم يفتحلون الأحداث و القصص و الأقوال و ينسبونها إلى أئمتهم

## (١) الأعراف : ٣٢

(٢) R - V. C. Bodley The Messenger The Life of Mohammad London,

المصومين بكل نحر واعتزاز، فما ظنك بأبي هريرة الذي ليس من أئمتهم المعصومين .  
و إليك رواية واحدة من كتب الشيعة ، روى القمي أن أبا جعفر

( الباقر ) قال :

« نزلت هذه الآية في طلحة والزبير والجل جملهم ( إن الذين كذبوا بآياتنا  
واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم  
الحياط ) ( ١ ) .

أما الأثر الذي نقله أبو رية عن الحلبة لأبي نعيم بأنه كان يطوف بالبيت  
و هو يقول : ويل لي من بطني إذا أشبعته كظني و إن أجمته سبني أو أضعفني ،  
فهو ضعيف لأن راويه فرقد السنجي وقد كان غير ثقة فقد قال البخاري : في حديثه  
مناكير ، و قال الترمذي تكلم فيه يحيى بن سعيد ، و قال النسائي : ليس بثقة  
و قال يعقوب بن شيبة : رجل صالح ضعيف الحديث جداً ( ٢ ) .

أما قول أبي رية « بأنه كان يستقرى الرجل الآية وهي معه كي ينقلب به  
فيطعمه و كان يفعل ذلك مع جعفر بن أبي طالب ، و من أجل ذلك جعل أبو  
هريرة جعفر بن أبي طالب أفضل من أبي بكر وعمر و علي و عثمان وغيرهم من  
 كبار الصحابة » فيه تشويه للحقائق .

وإليك نص الرواية التي يعترف فيها أبو هريرة بفضل جعفر .

( ١ ) الكافي في الأصول للقمي ١٨/٢ طبع في إيران

( ٢ ) راجع تهذيب التهذيب لابن حجر : ٢٦٢/٨ دار صادر بيروت ١٩٦٨ م

المغنى في الضعفاء للذهبي ٥١٠/٢ تحقيق نور الدين عتر كتاب المجرورين من  
المحدثين و الضعفاء و المتروكين لابن حبان : ٢٠٤/٢ تحقيق محمود ابراهيم

زايد دار الوعي بجلب ١٢٩٥ - ١٩٧٥ م .

عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه ، إن الناس كانوا يقولون : أكثر أبو هريرة ،  
وإني كنت أزم رسول الله بشبع بطني حتى لا آكل الخمير ولا ألبس الحبير ولا يخدمني  
فلان وفلانة ، وكنت ألصق بطني بالحصاء من الجوع وإني كنت لاستقرى الرجل  
الآية وهي معي كي ينقلب بي فيطعمني ، وكان أخير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب  
كان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته حتى إن كان ليخرج إلينا العكة التي ليس فيها  
شئ فيشقها فنلحق ما فيها ، ( ١ ) .

يقول ابن حجر العسقلاني وهو يشرح هذا الحديث :

« قوله للمساكين : و هذا التقييد يحمل عليه المطلق الذي جاء عن عكرمة عن  
أبي هريرة وقال : ما احتذى النعال ولا ركب المطايا بعد رسول الله ﷺ أفضل  
من جعفر بن أبي طالب ، ( ٢ ) .

وقد كناه النبي ﷺ بأبي المساكين ، فما ذنب أبي هريرة رضى الله تعالى عنه  
إذ يقول في جعفر كان أخير الناس للمساكين و الرواية تقول :

« ليقوله لاسمائه أسماء بنت عميس أطعمينا فإذا أطعمتنا أجباني وكان جعفر يحب  
المساكين ويسكن إليهم و كان النبي ﷺ يكنيه بأبي المساكين ، ( ٣ ) .

قال أبو رية : إن النبي ﷺ نصح أبا هريرة فقال له « زرغباً تزد جبا ، وذلك  
بعد أن سأله أين كنت بالأمس ؟ فأجابه أبو هريرة بقوله : « ذرت أنا من أهل » .

حاول أبو رية أن يجمع كل غث وسمين فيه ليخرج به الصحابي الجليل أبا  
هريرة رضى الله تعالى عنه ، ولم يتحر في الروايات التي استدلت بها الدقة والصواب ،

( ١ ) فتح الباري ٧٥/٧ طبع تحت إشراف محب الدين الخطيب المطبعة السلفية مصر .

( ٢ ) المصدر نفسه ٧٦/٧ .

( ٣ ) المصدر نفسه ٧٦/٧ .

فقد جاء بهذه الرواية التي يقول فيها الرسول ﷺ لأبي هريرة بعد ما سأله أين كنت بالأمس ، زرغباً تزدحجاً .

كان عليه أن يتثبت من أمر هذه الرواية هل هذه الرواية صحيحة أم غير صحيحة ، وما هي آراء العلماء في هذه الرواية ، لكنه سلك مسلكاً يصدق عليه قول القائل .  
وعين الرضا عن كل عيب كليله كما أن عين السخط تبدي المسارياً

يقول العلامة عبد الرؤف المناوي وهو يشرح هذه الرواية :

« قال البزار : لا نعلم فيه حديثاً صحيحاً ، وقال ابن طاهر : رواه ابن عدي في أربعة عشر موضعاً من كامله وأعلها كلها ، وقال البيهقي عقب تخريجه : طلحة بن عمرو أي أحد رجاله غير قوي وطلحة هذا أورده الذهبي في الضعفاء وقال أحمد : لا شئ ، متروك الحديث ، وأبو زرعة والدارقطني وابن منيع : ضعيف ، قال الهيثمي : فيه عويد ابن أبي عمران الجوفى وهو متروك » ( ١ ) .

فالرواية - كما رأينا - ليست صحيحة ، فكيف ساغ لأبي ربة أن يأتي برواية

ضعيفة ليخرج بها الصحابي الجليل ؟

( ١ ) فيض القدير شرح الجامع الصغير : ٦٢/٤ الطبعة الثانية ١٣٩١ - ١٩٧٢

دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت لبنان .

## الدراسة الأدبية في معاهد الهند وجامعاتها

بين الأمس و اليوم

الدكتور محمد راشد الندوي

رئيس قسم اللغة العربية بجامعة عليكره الاسلاميه

[ وضع هذا المقال للندوة الأدبية التي عقدها معهد اللغات الأجنبية

و اللغة العربية بجامعة حيدرآباد في شهر مارس ١٩٨٥ ] « التحرير »

إذا ألقينا نظرة عابرة على الموضوعات التي بحثت و درست في تاريخ الثقافة

العربية في الهند وجدنا أنها كثيرة ومتنوعة تدل على العبقرية الهندية ونبوغها ، ولكننا

نرى أن موضوع الأدب و النقد الخالص لم ينل مكاناً مرموقاً لدى كتاب الهند كما

لم يدرس دراسة موضوعية جدية في أي عصر من العصور الذهبية في تاريخ الثقافة

الاسلامية و العربية في القارة الهندية ، لذلك لا نجد أي كتاب أدبي ألف في هذا

الموضوع يستحق الثناء و التقدير ، لا شك أن علماء الهند قد اهتموا بالموضوعات

اللغوية فنجد عدداً كبيراً من كتب النحو والصرف قد ألفت عبر العصور في اللغة

العربية و الفارسية و اللغات الهندية المحلية ، ولكننا لا نجد فيها أي جديد بل إنها

كانت محاولات لتقريب اللغة العربية إلى أبناء الهنود في المدارس والمعاهد في أسلوب

لم تراع فيها ظروف الهند كما لم تراع فيها مستوى الطلاب ، إلى جانب كتب النحو

والصرف نجد كتباً قد ألفت في علم المعاني والبديع و كانت طريقة تصنيفها وتأليفها

أيضاً طريقة عجمية عقيمة تضرب على نفس الوتر الذي ضرب عليه العرب في الأزمنة

المتأخرة التي أصبحت فيها هذه العلوم علوماً منطقية فلسفية قبل أن تكون علوماً أدبية

نقدية تثير شعور اللغة و الأدب و تخلق ذوقاً أدبياً سليماً يقود القراء إلى دراسة نصوص أدبية فنية و الاستفادة فيها ، إذا الكتب التي ألفت و وضعت في الهند في هذا الموضوع كلها كانت تشير على هذا المنوال و تنهج هذا المنهج التقليدي العقيم ، إلى جانب هذه العلوم التي عنى بها علماء الهند ، علم القواميس ، فنجد طالمين كبيرين هما العلامة حسن الصغاني صاحب العباب الزاخر والثاني النابغة السيد مرتضى البلكرامى الزيدى صاحب تاج العروس في شرح القاموس للفيروز آبادى ، قد خلد هذان العالمان العبقريان اسميهما في تاريخ اللغة العربية بهذين الكتابين الجليلين الذين نشعر بهما كل اعتزاز و فخر و نشهد في نشوة الفرح و الوجد قول الشاعر :

مهمات أن يأتي الزمان بمثله  
إن الزمان بمثله لبخيل

و إننا إذا درسنا حياة هذين العالمين الهنديين وجدنا أن آثارهما العملية واللغوية قد ظهرت ، وأن مجملهما قد سطع في أفق السماء حينما غادرا الهند إلى البلاد العربية و توطنا فيها ، الصغاني كما يتحدث عنه المؤرخ الهندي الكبير العلامة السيد عبد الحى اللكنوى في نزهة الخواطر قائلاً :

« إن الصغاني ولد بمدينة لاهور في خامس عشر من صفر سنة سبع وخمسين وخمسمائة أيام خسرو ملك بن خسرو شاه الغزنوى ، فلما ترعرع و بلغ أشده أخذ العلم عن والده و عرض عليه قطب بن أيك القضاة بمدينة لاهور فلم يجبه إلى ذلك و رحل إلى غزنة يدرس و يفيد ثم دخل العراق و أخذ عن علمائها واستجاز عن جمع كثير من العلماء ثم رحل إلى مكة المباركة و أقام بها مدة و سمع الحديث بها و ببلدة عدن ثم رجع إلى بغداد سنة خمس عشرة وستمائة في أيام الناصر لدين إله الخليفة العباسى و طلبه و خلع عليه و أرسله بالرسالة الشريفة إلى صاحب الهند شمس الدين الألتمش سنة سبع عشرة وستمائة ، فبقى بها مدة ثم خرج من الهند سنة

سبع و عشرين و ستائة هج و دخل اليمن ثم عاد إلى بغداد ثم أعيد إلى الهند رسولاً من حضرة المستنصر بالله العباسى إلى رضية بنت الألتمش ملكة الهند ، و رجع إلى بغداد سنة سبع و ثلاثين و ستائة و توفي بها فدفن بداره في الحرم الظامرى ، ثم نقل جسده إلى مكة و كان أرصى بذلك و جعل لمن يحمله إلى مكة و يدفنه بها خمسين ديناراً ، و من مصنفاته مصباح الدجى في حديث المصطفى ، قال الجلبى في كشف الظنون ، هو كتاب محذوف الأسانيد ، و منها الشمس المنيرة هو أيضاً في الحديث ، و منها العباب الزاخر ، في اللغة في عشرين مجلداً ، قال الجلبى في كشف الظنون إن الصغاني مات قبل أن يكمله باع فيه إلى الميم ، و وقف في مادة بكم ، ولهذا قيل :

إن الصغاني الذي جاز العلوم و الحكم

كان قصارى أمره أن انتهى إلى بكم

و قال : و ترتيبه اصحاح الجوهري و قد جمع تاج ابن مكتوم أبو محمد أحمد ابن عبد القادر قيسى الحنفى المتوفى سنة تسع و أربعين و سبعمائة بينه و بين المحكم و منها بجمع البحرين في اللغة ، (١) .

يتبين من هذه العبارة بأن الصغاني بدأ تأليف هذا الكتاب في آخر حياته و هي الفترة الأخيرة قضاه في بغداد مكباً على كتب اللغة في مكتباتها العامة و الخاصة ، و كانت بغداد في تلك الأيام من أعظم مدن العالم مكاناً و عمراناً و أكثرها جمالا و جلالاً و أغناها علماء و عرفاناً و أخصبها رجالاً و أكفاهاً و أوسعها صدرأ و أرحبها قلباً و أهبجها نفساً لاستقبال الضيوف و طلاب العلم و هواة الأدب ، فقد وجد الصغاني فيها جميع مؤلفات اللغة و القواميس التي ألفها علماء الشرق كما وجد فيها جميع المؤلفات التي ألفها العلماء في بلاد المغرب و الأندلس إلى أيامه ،

(١) نزهة الخواطر ج ١ ص ١٣٩ إلى ١٤١ .

أما السيد مرتضى البكرامى الزبيدى فقد ولد في الهند و نشأ فيها ودرس على علمائها و استفاد بهم ولم يبلغ العشرين حتى توجه إلى اليمن و أقام فيها مدة طويلة ينتقل في أرجائها يستفيد بعلمائها و أساتذتها خاصة في علم الحديث ، و قد قيل إنه أثناء قيامه في اليمن قرأ قاموس الفيروزآبادى و أغرم به وبدأ شرحه فيها ، و حينما غادر اليمن متوجها إلى مصر مكث مدة في الحرمين الشريفين يتردد إلى حلقات العلماء والمحدثين ، فلما وصل إلى مصر فقد وجد في مدينة القاهرة بغيته المنشودة إذ وجد فيها علماء نابغين و أدباء بارعين و شيوخاً مجريين كما وجد فيها دور العلم عامرة و مكتبات النوادر غنية فإزداد شوقه و انتعشت ملكته العلمية حتى أكمل شرح القاموس و سماها تاج العروس الذى سحر به العقول و بهر به العيون ، و إذا درسنا حياة الزبيدى وجدنا أنه قد قضاها متجولاً و متنقلاً في البلاد العربية مستفيداً بعلمائها و أدبائها و أخيراً ألقى عصا ترحاله في مدينة القاهرة فاحتضنه النيل حتى أصبح ابناً من أبناء الوادى نال إعجاب علمائه كما نال تقدير أدبائه تقديراً حاراً ، يعيش مدلاً مرفها عبثة الملوك و الأمراء تخضع له الأعناق إجلالاً لأعماله و احتراماً لجهوده في سبيل العلم و اللغة ، إذا يمكننا أن نقول بكل ثقة أن هذين العالمين ظهر نبوغهما بعد مغادرتهم الهند و إقامتهما في عواصم البلاد العربية ، إلى جانب هذين العالمين نجد شخصيتين فذتين و هما محمد أعلى التهانوى صاحب كشاف اصطلاحات الفنون الذى يعد من أعظم الأعمال العلمية و اللغوية في القارة الهندية ، بل لا نتجاوز الصواب إذا قلنا إنه من أروع الأعمال العلمية في المكتبة العربية ، والثانى محمد طاهر الفتى صاحب مجمع بحار الأنوار الذى يقول عنه صاحب الثقافة الاسلامية في الهند « كانت له يد جارية ويمين عاملة في الحديث ما نهض من الهند مثله في سعة المعلومات و بلوغ النظر غير شيخه حسام الدين على المتقى الفجرانى و لكنه انقطع إلى الحجاز و عمت

فيوضه لأهل الحرمين الشريفين ، و الشيخ محمد طاهر أقام بالهند ، (١) . هاتان الشخصيتان لهما فضل كبير في تطوير الثقافة العربية و الاسلامية في القارة الهندية و قد اعترف بفضلها علماء العرب أنفسهم و لكننا لا نجد لهما أى أثر في تطوير الدراسة الأدبية العربية كما لا نرى أنهما قد أثارا الملكة الأدبية في علماء الهند ، دراسة مثل هذه الكتب تقودنا إلى يقين أن مؤلفيها كانوا ملين بجميع المراجع و المصادر التى تتعلق بموضوعها ، فقد نجد أسماء آلاف من الكتب العربية التى ألقت في أزمته مختلفة في مؤلفات علماء الهنود و لكننا لا نجد أى ذكر لأسماء الكتب الأدبية و النقدية و البلاغية التى ألقت في عصور عربية زاهرة ، مثلاً دلائل الإعجاز و أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني ، و كتاب الصناعاتين للعسكري والمثل السائر لابن أمير ، و كتاب العمدة لابن رشيق الفيروانى ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ، كما لا نجد ذكر كتب الجاحظ التى تعد من أغزر المواد الأدبية و البلاغية و النقدية ، كما لا نجد أسماء الكتب التى هى من أندر آثار البيان ، مثلاً كتاب كلبه و دمنة لابن المقفع و الامتاع و الموائسة لأبي حيان التوحيدى ، و من سوء الحظ لا نجد رواجاً لدراسة كتب الغزالي و خاصة كتاب « المنقذ من الضلال » و « صيد الخاطر » لابن الجوزى و « زاد المعاد » لابن القيم ، وإتنا لا نجد ذكر أمثال هذه الكتب العلمية و الأدبية و النقدية في مؤلفات علماء الهنود كما لا نرى ذكرها في المدارس الاسلامية ولا معاهدها . لست هنا بصدد سرد المناهج الدراسية الأدبية في القارة الهندية إنما أردت أن أعطى صورة خاطفة عن الاتجاه السائد في الهند في القرون الماضية .

لم يتغير هذا الاتجاه إلا في القرن العشرين . إنما حدث ذلك بفضل الاحتكاك

(١) الثقافة الاسلامية في الهند ص ١٣٧ .

الثقافي و الادبي بين الشرق و الغرب ، فظهر اول با كورة اديبة نقدية في الهند و هي كتاب جمهرة البلاغة للعلامة حميد الدين الفراهي ، قد كان العلامة الفراهي همزة وصل بين الثقافة العربية الشرقية و الثقافة الاوربية الغربية ، قد درس ما ألف علماء العرب في النقد و البلاغة كما حاول أن ينقب المراجع و المصادر التي يستفاد بها في تأليف كتب الادب و النقد ، فقد قاده شوقه و غرامه بدراسة الادب و النقد إلى دراسة كتب علماء اليونان التي يراها أهم مصدر و أغزر معين لدراسة الادب و النقد لعلماء العرب ، كما طالع كتب علماء الغرب الذين ألفوا في القرن التاسع عشر و القرن العشرين في موضوع الادب و النقد ، فقد كان كتابه جمهرة البلاغة محاولة اديبة نقدية في القارة الهندية بل أقول إنه كان أول محاولة نقدية بلاغية في المكتبة العربية المعاصرة ، يفوق الفراهي في كتابه هذا كثيراً من علماء العرب أنفسهم فقد نقد العلماء المتقدمين الذين ألفوا في موضوعات الادب و النقد وقال : إن علماء العرب لم يأتوا بشئ جديد حينما درسوا قضايا الادب و النقد بل كانت محاولاتهم أن يملأوا كتبهم بأراء علماء اليونان و خاصة أرسطو و لكنه أثنى على الجاحظ قائلاً إنه هو الاديب الوحيد في اللغة العربية الذي يستنبط أسس النقد و البلاغة من الكتب العربية الاصلية و فهم النقد و البلاغة فهماً صحيحاً و عبر عنهما تعبيراً سليماً مستدلاً بنصوص عربية فنية ، و بعد الفراهي نجد العلامة عبد الزبير الميمني إنه قد تلقى راية الادب و النقد فتلقاها باليمين و طلع في سماء الادب و اللغة و النقد بعد تأليف كتابه ابن رشيق القيرواني ، و أبو العلاء و ما إليه ، لقد أثبت بهذين الكتابين مهارته العلمية و حنكته النقدية و دراسته المتنوعة للمراجع العربية من المطبوعات و المخطوطات فقد كان في هذين الكتابين فارس رهان لا يشق له الغبار ، ولكن من سوء الحظ حين ندرس المناهج الدراسية الادبية في الجامعات حتى في جامعة علي كره نفسها التي

قضى فيها الميمني زهرة حياته معلماً و باحثاً لم تتغير شيئاً ، و كانت أبحاثه النقدية تدرس و تقدر في البلاد العربية و لكن علماء الهند و أساتذة الجامعات للغة العربية لم يستفيدوا منه شيئاً حيث لم يغيروا من مناهج تدريس الادب العربي و لم يقبلوا على قراءة الكتب الادبية و النقدية في المراحل الجامعية المختلفة ، و يظهر أن الاستاذ الميمني مع ذكائه الحاد و اطلاعه الواسع و طموحه الزائد لم يجد في حرم الجامعات أرضاً خصبة ولا تربة صالحة لبذر الملكة الادبية و النقدية ، أما تلميذه النابغ الدكتور محمد يوسف فقد حقق عدة كتب اديبة كما نشر نصوصاً عربية قديمة و كتب أبحاثاً علمية في المجالات الادبية العربية في البلاد العربية فأنى اعتقد أنه قوى ذوقه و أرفع حسه أثناء إقامته في القاهرة حيث كان استاذاً للغة الاردية فيها محكاً بعلمائها و المحققين فيها كما كان يتردد إلى دور العلم و المعرفة بشوق و لطفة ، فجاءت أبحاثه و مقالاته في لغة عربية رصينة تدل على سعة علمه و قدرته على الكتابة .

أما المدارس العربية الدينية فانها كانت فرحة و مبهجة على أنها تسير على الخطط التي و رثتها عن الأجيال السالفة مهما كانت هذه الخطط لم تحادل أن تغير منها شيئاً و تجعلها حسب الظروف و الاحوال ، حتى إن دار العلوم لندوة العلماء التي كانت تتميز من أخواتها من المدارس في دراسة الادب العربي بقيت مدة طويلة لم يظهر فيها شئ جديد في موضوع الادب و النقد ، إنما بدأت فيها النزعة الادبية و النقدية تتقدم و تتقوى بعد قدوم الشيخ محمد العربي و العلامة تقي الدين الهلالي إليها . قد كان محمد العربي استاذاً قديراً في اللغة العربية و متذوقاً بالنصوص الادبية الفنية . فكان يحاول أن ينقل ذوقه إلى طلابه بمهارة فائقة و كان يهتز طرباً حينما كان الشيخ يمر بعبارة راقية أو جملة بدريعة فنية و أبيات شعر أليقة و يبدى إعجابها و تقديره لها بملاخ و وجهه و بريق غيونه ، كذلك كان الشيخ تقي الدين الهلالي

من العلماء البارزين في اللغة العربية و من المقدرين لأعمال العلامة شبيب أرسلان .  
و من المطالعين على المدارس الأدبية و النقدية المعاصرة كما كان خبيراً بمراحل تطور  
اللغة العربية في القرون الماضية . فقد حاول هذان الأستاذان أن يفتشاً ذوقاً أدبياً  
في طلاب دار العلوم ويمرنانهم على القراءة الصحيحة كما كانا يمرننهم على المحادثة  
والكتابة في اللغة العربية باللهجة الفصيحة الأصيلة . فنشأ فيها عدد كبير من الطلاب  
حيث ترعرعوا و تربوا في أحضانها ، بدأوا يتكلمون و يكتبون في اللغة العربية بطلاقة  
و مهارة . و ظهرت آثارهم في مجلة الضياء التي كانت تصدر من دار العلوم . كان  
صدر مجلة الضياء محاولة جديدة في تطوير الذوق العلمي و الأدبي في طلاب اللغة  
العربية لا في دار العلوم لحسب بل في جميع المدارس العربية في القارة الهندية كلها ،  
ولكن المجلة لم تستمر طويلاً بل اختفت لأجل ظروف قاسية لسنا في حاجة إلى  
ذكرها الآن . كانت مجلة الضياء تصدر في اللغة العربية فترى الشباب يتهافون على  
قراءتها كما نرى الباحثين و الكتّاب يتسابقون إلى نشر أبحاثهم و مقالاتهم فيها . مع  
أن المجلة كانت في بدايتها مشرقة و نالت إعجاباً و تقديراً لدى الكتاب و الباحثين في  
الهند و في البلاد العربية أيضاً ، لم تتل قضايا اللغة و الأدب و التقدم  
بحثاً و دراسة بل جل أبحاثها و مقالاتها كانت تدور حول موضوعات دينية و تاريخية ،  
و السبب في ذلك كما اعتقد أن الشباب الذين كانوا يكتبون فيها لم يكونوا ملينين  
بالمراجع العربية الأدبية كل إلمام ، لذلك لم تنضج فيهم الملكة الأدبية و النقدية بل  
لأنهم كانوا يتمرنون على الكتابة في اللغة العربية لحسب ، مع أن مقامهم و أبحاثهم  
كانت تبشر بمستقبلهم الزاهر . قد لمعت على صفحات الضياء أسماء عدد كبير من  
الشباب و نخص بالذكر منهم الأستاذ مسعود عالم الندوي رحمه الله ، والعلامة أبو  
الحسن علي الندوي حفظه الله ، قد استمر الأستاذ مسعود عالم الندوي في قراءة

أبحاث كتب اللغة و الأدب في اللغة العربية كما حاول أن يدرس المراجع الأجنبية  
التي تتعلق بالثقافة الإسلامية و الدراسة الأدبية ، فتكونت عنده ثقافة عربية قوية  
فتقوى أسلوبه في الكتابة ، فقد كان يرجي منه خيراً في سبيل دراسة الأدبية  
و اللغوية و لكنه انسل من سلك التدريس و انضم إلى حركة دينية كان  
يتزعمها الأستاذ أبو الأعلى المودودي فكان في هذه الحركة عضواً متحركاً قريباً  
إلى زعيمها و قائدها ، يترجم كتبه و أبحاثه إلى اللغة العربية كما كان ينقل أفكاره  
و آراءه إليها فضاعت شخصيته الأدبية فلم يعرف إلا أنه مترجم لأفكار أبو الأعلى  
المودودي ، إلى جانب هذه الأعمال في الترجمة و التعريب كان يكتب أبحاثاً و مقالات  
في اللغة العربية حول الموضوعات الدينية و لكنه لم يعر عناية و اهتمامه لدراسة  
الأبحاث الأدبية و اللغوية مع قدرته على مثل هذه الموضوعات و الإنتاج فيها :  
أما الأستاذ أبو الحسن علي الندوي فقد تمرن على الكتابة في اللغة العربية  
على صفحات الضياء و بقي مستمراً في الكتابة و التأليف بعد اختفاء المجلة أيضاً  
وساعده الحظ لزيارة البلاد العربية مرة بعد مرة حيث تقوت صلته بعلمائها و أدبائها  
كما تقوت صلته بزعمائها و قادتها و استفاد في زيارته المختلفة حيث وجد في مكباتها  
و دور علمها كتباً و أبحاثاً علمية و أدبية و اشترك في الندوات و المؤتمرات و ألقى  
فيها محاضرات علمية و أبحاثاً فكرية فنقل أفكاره و آراءه و نوعاته إلى أبناء العرب  
في كتب علمية نالت إعجاباً و تقديراً في كل طبقة يتهافت الناس على قراءتها و الاستفادة  
منها ، إن الأستاذ أبو الحسن علي الندوي لم يكتب كتاباً مستقلاً في موضوع الأدب  
و النقد و لكنه نشر عدة مقالات و أبحاث في مجلة الضياء و البعث الاسلامي  
و مجلة المجمع العلمي بدمشق ، فالمقالة التي نشرتها مجلة المجمع العلمي تعد من أروع  
المقالات التي ظهرت في العصر الحديث ، قدم صاحبها فيها أفكاراً جديدة حيث دعا

الكتاب و الباحثين و العلماء إلى تغيير المفاهيم الأدبية ، أما كتبه التي هي في اللغة العربية في موضوعات تاريخية و ثقافية و اجتماعية فهي تمتاز برعة أسلوبها ورشاقة بيانها وحسن ديباجتها ، فقد استطاع أن يخلق بها ذوقاً علياً و أدبياً في عدد كبير من طلابه وتلامذته ، وقد قام أساتذة اللغة العربية بدار العلوم لندوة العلماء بتأليف كتب و نشر أبحاث و مقالات في الدراسات اللغوية و الأدبية أمثال الأستاذ الشيخ محمد الرابع الندوي رئيس قسم اللغة العربية بدار العلوم ، و الأستاذ سعيد الأعظمي الندي و الأستاذ محمد واضح رشيد الندوي ، تمرن هؤلاء الأساتذة على الكتابة في اللغة العربية على صفحات البحث الاسلامي منذ صدورهما ، والعلامة أبو الحسن علي الندوي الذي يرعاه رعاية الأب لابنائه و يشرف على أعمالهم لإشراف الأستاذ المحنك يقود طلابه قيادة صحيحة سليمة ، كان لأبحاث هؤلاء الأساتذة فضل كبير في تطوير النزعة الأدبية في طلاب دارالعلوم كما كان لها صدى في المدارس العربية و المعاهد الاسلامية حتى في جامعات الهندية العصرية ، حيث نرى الطلبة بدأوا يتمرنون على الكتابة والمحادثة والمناقشة في اللغة العربية ، إلى جانب هؤلاء الأساتذة في دارالعلوم لندوة العلماء نرى عدداً كبيراً من طلاب الاستاذ أبي الحسن علي الندوي الذين ساعدتهم الحظ للانتماء إلى الجامعات العصرية فتهيأت لهم الفرصة للدراسات الأدبية و اللغوية و النقدية و الاطلاع على المصادر العربية القديمة و الحديثة ، فقدموا أبحاثهم الجامعية في اللغة العربية عن الموضوعات الأدبية و النقدية فكانت هذه الأبحاث بداية عهد جديد في الجامعات الهندية ، قد قدم الدكتور عبد الحلیم الندوي بحمته القيم عن نهاية الأدب للندوي و الدكتور السيد احتشام حسين عن تطور النقد الأدبي ، كما قدم الدكتور معين الدين الندوي الأعظمي بحمته عن العلامة حميد الدين الفراهي وآثاره ، و قدم كاتب هذه السطور بحثاً عن النزعات السياسية

و الاجتماعية و الدينية في الشعر المصري الحديث كما قام بنشر أبحاث و مقالات حول شخصيات أدبية و علمية في المجلات العربية فقد نشرت له عدة مقالات في مجلة ثقافة الهند و البحث الاسلامي كما نشر في حلقات متواصلة مقالات و أبحاثاً حول قضايا أدبية و نقدية و شعرية في مجلة المجمع العلمي الهندي ، وهذه المقالات والأبحاث المتواضعة أراها محاولة جديدة في تطوير الدراسة الأدبية في القارة الهندية ، من حسن الحظ أن الجامعات الهندية بدأت تغير مناهجها الدراسية كما بدأت تحاول أن تقدم الأبحاث الجامعية فيها في اللغة العربية عن الموضوعات الأدبية ، قد قدمت قبل مدة عدة أبحاث قيمة في جامعة علي كره عن موضوعات أدبية معاصرة فقدم الدكتور توفيق بحمته عن « المدارس النقدية العربية في العصر الحديث » و الدكتور موبد عبد الستار « تطور السيرة الذاتية في اللغة العربية من نصف القرن التاسع عشر إلى نصف القرن العشرين » و الدكتور قاضي محمد ثثار « مساهمة خليل مردم بك إلى اللغة العربية » و هناك أبحاث عديدة في جامعة علي كره نفسها لا يزال طلاب الدكتوراة في قسم اللغة العربية يشتغلون عليها و هي تنهت في المستقبل القريب ، و قد حصلنا على فهارس الرسائل الجامعية في الجامعات الهندية فوجدنا فيها عدداً كبيراً من الرسائل قد قدمت في اللغة العربية عن الموضوعات الأدبية و الشعوية مثل جامعة لكناؤ و الجامعة العثمانية بجيدر آباد و معهد دراسات اللغات الأجنبية و جامعة كالي كيت بكيرالا ، و إنني أرى مستقبلاً زاهراً للدراسات الأدبية في الجامعات الهندية .

في جانب الرسائل الجامعية في جامعة علي كره الاسلامية نجد فيها ظاهرة علمية و أدبية و هي صدور مجلة المجمع العلمي الهندي بقسم اللغة العربية و قد طلعت هذه المجلة قبل ثمان سنوات و لا تزال تصدر إلى يومنا هذا ، و هذه المجلة هي المجلة

العلية الادبية الوحيدة التي صدرت في تاريخ الثقافة العربية بالهند على غرار مجلات المجمع العربية في البلاد العربية كمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق و مجلة المجمع العلمي ببغداد و القاهرة و عمان ، قد نشرت في هذه المجلة أبحاث أدبية نقدية و لغوية بأفلام كتاب الهند و كتاب العرب و نالت إعجاباً و تقديراً في الأوساط العلية و الادبية في البلاد العربية ، كما أتت عليها المستشرقون الذين يشتغلون في القضايا الادبية و اللغوية في أوروبا و أمريكا .

لاني اعتقد أن مثل هذه الأبحاث والمقالات والمجلات ستغير مجرى الدراسات الادبية في الجامعات والمعاهد الهندية ، هنا أريد أن أقدم عدة اقتراحات للجامعات الهندية .  
أولاً : ينبغي أن تخصص السنوات الدراسية للاجستير كلها للدراسات الادبية و النقدية حول الموضوعات الآتية ، (١) النقد (٢) المدارس الادبية المختلفة (٣) المدارس الشعرية (٤) القصة (٥) المسرح (٦) الصحافة (٧) أدب المقالة (٨) أدب السيرة الذاتية (٩) أدب الرحلات (١٠) الرسائل الادبية و السياسية (١١) المذكرات ، كما تخصص المواد الادبية حسب ظروف البلاد العربية .

الثاني : يتمرن الطلبة على الكتابة في اللغة العربية عن هذه الموضوعات ويدل الأستاذ الطلبة على المراجع القديمة و الحديثة و يقدم لهم خطط البحث لكل موضوع و يناقش معهم و يمرنهم على الكتابة حسب الخطط المرسومة لهم .

الثالث : تحاول أقسام اللغة العربية أن تعقد ندوات أسبوعية يقدم الطلبة فيها أبحاثهم كما يقدم الأساتذة فيها مقالاتهم و محاضراتهم ثم تكون المناقشة حولها .

الرابع : أما في قسم الدكتوراة فتكون الرسائل الجامعية عن نفس هذه الموضوعات و لاني على ثقة أن الجامعات الهندية بإمكانها في هذه الأيام أن تحصل على المراجع و المصادر التي يحتاج إليها الطلبة لاعداد مثل هذه الأبحاث و الموضوعات . في ضوء هذه الاقتراحات يمكن لي أن أقول إننا إذا نهجنا هذا المنهج و سلطنا هذا المسلك نستطيع أن نساهم في الدراسات الادبية العربية مساهمة فعالة و تكون للأبحاث الجامعية الهندية قيمة علمية أدبية لا تقل عن قيمة الرسائل و الأبحاث التي تقدم في الجامعات العربية المختلفة .

## حسان بن ثابت الانصاري

و شعره الاسلامي

... (٥) : ...

سعيد الأعظمي الندوي

يوم الرجيع بعد غزوة احد :

و في سنة ثلاث من الهجرة قدم على رسول الله ﷺ رهط من عسل و القارة ، و هم من الهون بن خزيمه بن مدركة ، و طلبوا من رسول الله ﷺ جماعة من أصحابه القراء يبعثهم إليهم ليقرؤهم القرآن و يعلموهم شرائع الاسلام و يفقهوهم في الدين ، و استجابة لطلبهم هذا بعث ﷺ معهم نفرأ من أصحابه و هم مشرة ، ستة من المهاجرين و أربعة من الأنصار ، و كان من بين هؤلاء خبيب ابن عدى ، حتى إذا كانوا على الرجيع ماء هذيل بناحية الحجاز بين عسفان و مكة ، غدروا بهم و قاتلوهم ، فمهم من قاتل حتى قتل منهم من لاوا و رغبوا في الحياة فأسروهم و باعوهم ، و كان خبيب بن عدى منهم .

قصة حبس خبيب بن عدى :

و قد ابتاعه حجير بن أبي إهاب التميمي حليف بنو نوفل لعقبه بن الحارث ابن نوفل ليقتله بأبيه (١) فأخذوه و حبسوه في بيت مارية مولاة حجير بن أبي إهاب ، و كانت قد أسلمت و قد تحدثت عن قصة حبسه فقالت :

(١) إقرأ القصة بطولها في السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ / ( يوم الرجيع )

و في كتب التاريخ و السنة .

« كان خبيب عندي ، حبس في بيتي ، فقد اطلمت عليه يوماً ، و إن في يده لقطفاً من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه ، وما أعلم في أرض الله عنب يوكل... قال لي حين حضره القتل : ابعثني إلى بحديدة أنظف بها للقتل ، فقالت : فأعطيت غلاماً من الحلي الموسى ، فقلت : ادخل بها على هذا الرجل البيت ، قالت : فو الله ما هو إلا أن ولي الغلام بها إليه ، فقلت ماذا صنعت ، أصاب واقه الرجل ثأره بقتل هذا الغلام ، فيكون رجلاً برجل ، فلما ناره الحديد أخذها من يده ثم قال : لعمرك ، ما خافت أمك غدري حين بعثتك بهذه الحديدة إلى ، ثم خلى سبيله (١) » .

كيف صلبوه و قتلوه :

لما خرجوا به إلى التعميم ليصلبوه قال لهم : إن رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا ، قالوا : دونك فاركع ، فركع ركعتين أتمهما و أحسنهما ، ثم أقبل على القوم فقال : أما واقه لولا أن تظنوا أني إنما طولت جزعا من القتل لاستكثرت من الصلاة ، فكان خبيب بن عدى أول من سن هاتين الركعتين عند القتل للسليين ، ثم رفعوه على خشبة ، فلما ارتقوه قال : اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة ما يصنع بنا ثم قال : اللهم أحصهم عدداً و اقلهم بدأ (٢) و لا تغادر منهم أحداً ، ثم قتلوه ، رحمه الله .

شعره الذي قال في هذه المناسبة :

و لما تأكد أن القوم قد أجمعوا على صلبه و اجتمعوا لهذا الغرض قال

الآيات التالية :

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ / ١٨١ - ١٨٢ .

(٢) بدأ بالفتح مصدر بدد بمعنى فرق ، وبالكسر جمع بدة ( بكسر الباء ) بمعنى النصب ، يعني اقلهم أرباً أرباً .

لقد جمع الأحزاب حولي و البوا  
و كلهم مبدى العداوة جامد  
و قد جمعوا أبنائهم و نساءهم  
إلى الله أشكو غربتي ثم كرتني  
فذا العرش صبرني على ما يرادني  
و ذلك في ذات الاله وإن يشأ  
و قد خيروني الكفر و الموت دونه  
و ما بي حذار الموت إني لميت  
فواقه ما أرجو إذا مت مسلماً  
فأست بمبدى العدو تخشعاً  
و لا جزعاً ، إني إلى الله مرجعي

قباثلهم و استجمعوا كل مجمع (١)  
على لآني في وثاق مضيع (٢)  
و قربت من جذع طويل تمنع (٣)  
وما أرصد الأحزاب لي عند مصرعي (٤)  
فقد بضعوا لحمي و قد يأس مطمعي (٥)  
يبارك على أوصال شلو ممزع (٦)  
و قد هملت عيناى من غير مجزع (٧)  
و لكن حذارى جمع نار ملقع (٨)  
على أى جنب كان في الله مصرعي (٩)  
و لا جزعاً ، إني إلى الله مرجعي

(١) يريد بالأحزاب جماعة القاتلين ، البوا قباثلهم يعني جمعها عليه ، استجمعوا طلبوا الاجتماع من كل مجمع .

(٢) جاهد على معنى مجتهد في إيذائي ، الوثاق ، ما يربط به الأسير عند أمره .

(٣) جذع النخلة ساقها ، تمنع بمعنى المحكم المتين .

(٤) أرصد : أعد و هيا . مصرع مصدر ميمي ، يعني عند قتل .

(٥) بضعوا بمعنى قطعوا يأس بمعنى يأس ، مطمعي ، يعني طمعي .

(٦) أوصال بمعنى المفاصل أو مجتمع العظام ، و المراد بها أعضاء الجسم ،

الممزع : المقطع .

(٧) مجزع مصدر ميمي .

(٨) الحجيم : الملتهب المتقد ، الملقع المشتعل ، يقال : تلفع بثوبه إذا اشتعل به .

(٩) و يروى صدر البيت : ولست أبالي حين أقتل مسلماً .

ثم صلبه اهداء الله ، و لم يلينوا و لم يرقوا شيئاً ، إنما كانوا في غاية من  
القسوة حينما صلبوه ، رحمه الله تعالى ، و قد رثاه حسان بن ثابت في آيات تالية  
بشره فيها برضا الله و جنة الخلد ، و تسال الأعداء في أسف بلغ إلى مداه عما إذا  
سألهم النبي ﷺ فيم قتلوه و صلبوه ، يقول :

ما بال عينك لا ترفأ مدامها سحاعلى الصدر مثل اللؤلؤ القلق (١)  
على خيب فقى الفتيان قد علوا لا فشل حين تلقاه و لانزق (٢)  
فاذهب خيب جزاك الله طيبة وجنة الخلد عند الحور في الرفق (٣)  
ماذا تقولون إن قال النبي لكم حين الملائكة الابرار في الاق  
فيم قلم شيد الله في رجل طاغ، قد أوعث في البلدان والرفق (٤)  
أبا إهاب فبين لي حديثكم أين الغزال على الدر و الورق (٥)

(١) رفاً الدمع يرقأ ، إذا انقطع ، و سح بمعنى صب ، القلق ، المضطرب  
المتحرك الساقط .

(٢) الفشل بكسر الشين ، الضعيف ، الجبان ، النزق بكسر الزاي ، السيقى الخلق .  
(٣) الحور جمع حوراء ، المرأة التي اشد سواد سواد عينها واشتد بياض بياضها ،  
الرفق بضم الراء وفتح الفاء جمع رفة ، و الرفقة ، بسكون الفاء وراؤها  
مثلة ، اسم للجماعة الذين تراقبهم و يراقونك .

(٤) أوعث الرجل : اشد فساده ، الرفق جمع رفة و يروي : و الطارق ،  
كما في الديوان .

(٥) أبو إهاب هو الذي اشترى خبيباً لابن أخته عقبة بن الحارث ليقبله بأبيه ،  
و كان أبو إهاب ممن سرقوا غزال الكعبة و قد تحدث عن ذلك حسان  
ابن ثابت في قصيدة له .

لا تذكرن إذا ما كنت مفتخراً أبا كشيبة قد أسرفت في الحق  
و لا عزيراً فان الغد منقصة إن عزيراً دقيق النفس و الخلق (١)  
و هنا آيات أخرى يبكي فيها خبيب بن عدى الانصاري رضى الله عنه :  
يا عين جودى بدمع منك منسكب و ابكى خبيباً مع الفتيان لم يؤوب (٢)  
صقراً توسط في الأنصار منصبه سمح السجبة محضاً غير مؤتشب (٣)  
قد هاج عيني على علات عبرتها إذ قيل : نص على جذع من الخشب (٤)  
يا أيها الراكب للغادى لطيبته أبلغ لديك وعبداً ليس بالكذب (٥)  
بنو كهينة : إن الحرب قد لقمحت محلوبها الصاب إذ تمرى لمخلب (٦)  
فيها أسود بنو النجار تقدمهم شهب الأسنة في معصوب لجب (٧)  
و هذه آيات أخرى يرثى فيها خبيب بن عدى رضى الله عنه :  
لو كان في الدار قرم ماجد بطل أوى من القوم صقر خاله أنس (٨)

(١) شرح ديوان حسان للبرقوقى ص ٣٤٣-٣٤٤ .

(٢) و في رواية مع الغادين ، لم يؤوب من آب يؤوب بمعنى رجع .

(٣) السجبة : الطبيعة ، المحض : الخالص والمراد به خلوص نسبه من الشوائب ،  
غير مؤتشب : غير مختلط .

(٤) العلات : المشقات ، العبرة : الدفعة ، نص بالبناء على المفعول ، بمعنى رفع

(٥) الطية : النية ، يعنى ما انطلت عليه النية من الجهة التي تنجه إليها .

(٦) بنو كهينة قبيلة ، تصغير للتعبير ، لقمحت الحرب : ازداد شرها ، محلوبها  
اللبن الذي يحلب منها ، الصاب : اللقم ، تمرى بالبناء على المفعول يعنى يمسح  
ضرعها لتدر ، شبه الحرب بناقة لقمحت ، يتوعد قاتلي خبيب بالحرب الضروس .

(٧) المعصوب : الجيش الكشيف ، اللجب : الكثير الصوت بالأسلحة .

(٨) القرم : الفعل من الابل ، و المراد منها الرجل السيد ، أوى : شديد  
الخصومة ، أنس هو الأصم السلى ، حال مطعم بن عدى بن نوفل .

- إذن وجدت خيباً مجلساً فسحاً  
و لم تسقك إلى التعميم زعفة  
دلوك غدرأ وهم فيها أولو خلف
- و لم يشد عليك الدجن والحرس (١)  
من القبائل منهم من نفت عدس (٢)  
و أنت ضيم لها في الدار محتبس (٣)

يهجو قبيلة هذيل :

و بما أن قبيلة هذيل كان لها نصيب الأسد في تشجيع رهط عضل و القارة  
على الغدر و القتل ضد جماعة المسلمين ، تنازلها حسان بن ثابت بالهجوم فيما صنعوا  
بخيب بن عدى رضى الله عنه ، يقول :

- أبلغ بن عمرو بأن أخام  
شراه زهير بن الأغر و جامع  
أجرتم فلما أن أجرتم غدرتم  
فليت خيباً لم تخنه أمانة
- شراه امرؤ قد كان للغدر لازماً (٤)  
و كان جميعاً يركبان المحارما (٥)  
و كنتم بأكناف الرجيع لهاذما (٦)  
وليت خيباً كان بالقوم عالماً (٧)

(١) خيباً منادى عومل معاملة النكرة ، و هو معترض بين الفعل و مفعوله .  
(٢) الزعفة بكسر الزاي الاتباع الذين لاشرف لهم ، جمعه زعانف ، عدس  
قبيلة من تميم .

(٣) دلوك يعني غروك ، أنت ضيم لها يعني أنت ذل لها و غلبة و قهر .

(٤) بن عمرو : يريد بهم عمرو بن عوف ، قوم خيب ، أخام : المراد  
خيب ، شراه ، بمعنى باعه .

(٥) زهير بن الأغر و جامع ، كلاهما هذيلان و كانا قد جمعا لخيب ذمتها  
و لكنهما لم يفيا و باعا خيباً ، و شراه بمعنى باعه .

(٦) لهاذما إذا كانت بالذال فعناه الشجعان ، يقال سيف لهدم إذا كان قاطعاً  
و بالزاي فعناه جبناء ضعفاء .

(٧) السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ١٧٥-١٧٦ .

و هذه هدة أبيات يهجو فيها بنى لحيان من هذيل :  
إن سرك الغدر صرفاً لامزاج له  
قوم تواصوا بأكل الجار بينهم  
لو ينطق التيس يوماً قام بخطبهم  
و قال يهجو هذيلاً و يعبرهم على ما طلبوا من رسول الله ﷺ حينما أرادوا  
أن يسئلوا أن يحل لهم الفاحشة ( الزنا ) :

سالت هذيل رسول الله فاحشة  
سالوا رسولهم ما ليس معطيهم  
و ان ترى لهذيل داعياً أبدأ  
لقد أرادوا خلال الفحش ، و يحجمهم  
قصيدة أخرى في هجوها :

سالت هذيل بما سألت و لم تصب (٢)  
حتى الممات ، و كانوا سببة العرب  
يدعو لمكرمة من منزل الحرب (٣)  
و أن يحلوا حراماً كان في الكتب

و هذه قصيدة أخرى يهجو فيها هذيلاً و لحيان ، و يذكر غدرهم و خيانتهم  
و يتهددهم بمصير مشثوم لقاء ما قاموا به نحو مبعوثي رسول الله ﷺ ، يقول :

لعمري لقد شانت هذيل بن مدرك  
أحاديث كانت في خيب و حاصم  
أحاديث لحيان صلوا بقبيلتها  
و لحيان جرامون شر الجرائم (٤)  
أناس هم من قومهم في صميمهم  
بمنزلة الزمعان دبر القوادم (٥)

(١) صرفاً ، خالصاً ، وقد فسره بقوله : لامزاج له ، الرجيع : ماء لهذيل بناحية الحجاز ،

لحيان بكسر اللام أو فتحها ، هو ابن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر ،

وقيل : إن أصل لحيان من جرهم ، و أنهم دخلوا في هذيل فنسبوا إليهم .

(٢) سألت في الأصل سألت خفف الهمزة للضرورة .

(٣) الحرب بفتح الحاء والراء : السلب . (٤) صلوا بقبيلتها يعني أصابهم شرها .

(٥) الصميم : الخالص ، الزمعان جمع زمع ، و هو الشعر الذي يكون فوق

الرسغ من الدابة و غيرها ، دبر بمعنى خلف ، القوادم يريد بها البدن .

هم غدروا يوم الرجيع و اسلبت  
رسول رسول الله غدراً ولم تكن  
فسوف يرون النصر يوماً عليهم  
أبايل دبر شمس دون لحمه  
لعل هذبل أن يروا بمصابه  
و توقع فيهم وقمة ذات صولة  
بأمر رسول الله إن رسوله  
قبلة ليس الوفاء يهيمهم  
إذا الناس حلوا بالفضاء رأيهم  
علمهم دار البوار و رأيهم

قصيدة أخرى يهجو فيها هذبل و لحيان :

- (١) أراد به عاصم بن أبي الأفلح الذي حمته الدبر دون الحرائم ، يعنى دون أن يمسه أحد ، حيث إن الزناير هي التي كفته ، و الدبر جمع دبرة يعنى الزبور .
- (٢) أبايل جمع أبول كعجول بمعنى الجماعات ، الشمس بالضم والتشديد ، المدافعة ، الملاحم جمع الملحمة : المكان الذي يلتحم فيه الفريقان المتحاربان ، عظام جمع عظيم ، يعنى الحروب العظيمة .
- (٣) المأتم مجلس النساء يجتمعن في الخير أو الشر ، ولكن المراد هنا اجتماعهن في مناحة .
- (٤) يعنى سنحارهم محاربة عنيفة يتحدث بها الركبان إلى أهل المواسم .
- (٥) قبيلة بالتصغير ، يعنى أنهم أحقر من الوفاء والشجاعة والمكارم والأخلاق .
- (٦) المخارم جمع المخرم بمعنى مسابيل الماء التي يخزمها السيل .
- (٧) السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ، ص ١٧٧ ، ١٧٩ .

لقد كان حسان بن ثابت مكارم القلب بما حدث مع خبيب بن عدى وأصحابه الكرام من غدر و خيانة وقسوة من قبيلة هذبل و لحيان فيكره مهاوئه لها ، ولعله بذلك يستطيع أن يقوم بأقل واجب نحو إخوانه الكرام الذين قتلوا و صلبوا في سبيل الدين ، و هذه قصيدة أخرى له يهجو بها هذبل و لحيان .

لما من قتلى غدرة بوفاء (١)  
أخا ثقة في وده و صفاء  
بذى الدبر ما كانوا له بكفاه (٢)  
لدى أهل كفر ظاهر و جفاه  
و باعوا خيباً ويلهم بلفاه (٣)  
على ذكركم في الذكر كل عفاه (٤)  
فلم تمس يخفى لؤمها بخفاه (٥)  
بلى إن قتل القاتله شفافى

- (١) قتلى غدرة ، جملة إضافية وقد حذف تون قتلين جمعاً ، من أجل الإضافة .
- (٢) ذو الدبر هو عاصم بن ثابت الذي وقاه الله بطريق الزناير التي اجتمعت حوله فلم يمكن اعداءه قطع رأسه من امرأة و هي سلاقة بنت سعد التي كانت قد نذرت أن تشرب في قحف رأسه الخمر .
- (٣) اللفاء كسحاب ، الشئ القليل الحقيقير ، والتراب أيضاً ، تقول العرب ، أقطع من الوفاء باللفاء .
- (٤) العفاء بزنة السحاب ، التغير و الانطماش ، ( كل عفاه ) مبتدأ ، خبره ( على ذكركم ) يعنى إذا ذكر الناس لم يذكروا هؤلاء لأنهم حاملون .
- (٥) قبيلة لتصغير الشئ ، تعزى ، بمعنى تنسب .

فلا امت أذعر هذيلًا بغارة  
بأمر رسول الله والامر أمره  
يصبح قرماً بالرجيع كأنهم  
وهذه آيات كذلك يهجو بها هذيلًا :

فلا والله ما تدرى هذيل  
ولا لهم إذا اعتمروا و حجوا  
ولكن الرجيع لهم عمل  
كأنهم لدى الكنات أصلاً  
هم غروا بذمتهم خيباً  
فبئس العهد عهدهم الكذوب

وهذه آيات عديدة يتظاهر فيها بألمه الشديد على ما حدث مع خيب ورفاقه  
رضى الله عنهم ، و يرفى لهم فيها ، يقول :

صل الله على الذين تابعوا  
يوم الرجيع فأكرموا و أئيبوا

(١) إلا لم امت يعني إن لم امت ، أذعر بمعنى أخوف ، الجهام السحاب الرقيق ،  
الافاء ككتاب ، الغنيمة .

(٢) جداء جمع جدى ولد الشاة ، شتائين ، دخلوا في الشاء ، دفاه من الدفء .

(٣) مشوب : مخلوط ، من شاب يشوب إذا خلط .

(٤) الحجريين يكسر الحاء المراد به حجر الكعبة ، وثناه لأنه أراد بذلك الحجر  
و ما حوله ، وفي رواية الحجريين ثنية حجر و المراد بهما الحجر الأسود  
و الحجر الذي فيه مقام إبراهيم .

(١) الكنات جمع كنة بالفتح بمعنى زوجة الابن أو الاخ ، أصلاً بضم الهمزة  
والصاد جمع أصيل وهو ما بين العصر والمغرب ، النبيب ، صوت التيس .

رأس الصرية مرثد و أمير  
و ابن لطارق و ابن دثنة منهم  
و العاصم المقتول عند رجيمهم  
منع المقادة أن ينالوا ظهره  
وابن البكير أمامهم و خيب (١)  
واقاه ثم حمامه المكتوب (٢)  
كسب المعالي إنه لكسوب (٣)  
حق يجالد إنه لتجيب (٤)  
« يتبع »

(١) خيب ، مكبر هنا ، للضرورة ، و مرثد هو مرثد بن أبي مرثد ، و خالد  
ابن البكير اللبثي ، و خيب بن عدى .

(٢) ابن لطارق ، هو عبد الله بن طارق حليف بني ظفر ، و ابن دثنة هو زيد  
ابن الدثنة ، الحمام : بكسر الحاء : الموت ، طارق ، ممنوع من الصرف للضرورة .

(٣) العاصم أراد به حمى الدبر عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، لكسوب ،  
صيغة المبالغة و اللام للتأكيد .

(٤) المقادة : مصدر ميمي بمعنى الانقياد و الخضوع أمام أعدائه ، فلم يدركوا  
ظهره ، بل إنه جالدهم بالسيف جلاداً عنيفاً .

(بقية المنشور على ص : ١٠٠)

و على العكس من كل ذلك يبدو إيمان المجاهدين بقضيتهم كبيراً ، حتى الرمح  
الأخير يجاهدون ، في إحدى المرات جرح أحد المجاهدين جرحاً ميباً ، ومع ذلك  
رفض أن يترك سلاحه ، ظل متمسكاً به في استماتة ، كانت المعركة دائرة على أشدها  
و المجاهدون في حاجة إلى مدفعية الرشاش ، لم يتحرك إلا بعد ما قال له قائده محمد  
صديق شكرى إذا كنت ستشهد فارك سلاحك لفيرك هكذا يكون  
الجهاد و الاستشهاد .

الشاب و هو يقول : « عندما كنت مسئولاً عن المجاهدين في كابول ، كنت أحكم المنطقة أكثر مما يحكم رئيس الجمهورية ذاته بابرليك كارميل ، إنها حقيقة ،

وأخذ قائد المجاهدين يشرح لي هذه الحقيقة التي لا تصدق قال : « المجاهدون في كابول يتحكمون في كل المناطق التي تقع حولها ، الشيوعيون والروس لا يستطيعون الاقتراب منها ، وفي الليل يدخل أهل الجهاد إلى العاصمة ويقومون بعمليات ناجحة ضد الشيوعيين فيها ، بابرليك كارميل حاكم أفغانستان الشيوعي يتحكم في عاصمته بالتهار فقط ، وفي الليل يتقاسمها معه المجاهدون ، وهو لا يستطيع الخروج من كابول قط .

وقائد المجاهدين « محمد صديق شكري » قام بأكثر من ثمانين هجوماً على مواقع الشيوعيين في عاصمة أفغانستان وما حولها عدا عشرات من العمليات الحربية الصغيرة ، تركزت عملياته على المواقع العسكرية للجيش الأفغاني و إلقاء الرعب في نفوس المستشارين الروس والعمل على قتلهم ، هاجم مطار كابول ذاته ثلاث مرات .

و في المرة الأولى أسفر الهجوم عن تدمير ثمان طائرات هليكوبتر وسيارة كانت تحمل بعض المهندسين الروس ، و في المرة الثانية دمرت طائرتين بعد ضربهما بالصواريخ ، أما في المرة الثالثة فقد كان هجوماً ضخماً أسفر عن مقتل سبعة أشخاص . ويؤكد محمد صديق شكري أن السبب الأول لنجاح المجاهدين يرجع إلى توفيق الله سبحانه وتعالى لهم ، هو ذاته أفلت من الموت عشرات المرات بفضل رعاية الله تعالى .

ويحكى لي المجاهد الشاب قصة أغرب من الخيال ، وأكد هذه القصة عشرات من المجاهدين الذين قابلتهم ، في إحدى المرات سمع محمد صديق شكري أصوات طلقات الرصاص ، خرج مع عدد من المجاهدين ليستطلع مصدر النيران ، وقع في كمين أعده الشيوعيون له ، أفلت منه بأعجوبة ، فيما استشهد عدد من المجاهدين ، وشاهدته طائرة هليكوبتر ، طارده بمدافعها الرشاشة ، وانها عليه الرصاص من كل جانب ، وتأكد أنه سيتنل حتماً ، ونطق بالشهادتين ، وأخذ يبحث عن ملك الموت فلم يجده !! استطاع بمعجزة الاختباء من الطائرة ، رجع عائداً إلى أحد مواقعه . و الشيوعيون كانوا قد استولوا عليه دون أن يدري ، انهال عليه الرصاص

حديث مع قائد المجاهدين الأفغان ،

الشيخ محمد صديق شكري

الأستاذ محمد عبد القدوس ينقل تفاصيل عن جهاده من جبهة القتال

اسمه « محمد صديق شكري » قائد المجاهدين في منطقة « جاجي » التي تقع في جنوب شرق أفغانستان ، نقل إليها حديثاً فقط منذ بضعة أشهر ، و كان قبل ذلك قائداً للمجاهدين في منطقة كابول عاصمة أفغانستان ، وظل هناك لمدة أربع سنوات كاملة ، وخصص الاحتلال السوفيتي والحكم الشيوعي العميل في كابول عشرة ملايين من العملة الأفغانية مكافأة لمن يأتي به حياً أو ميتاً ، فشلت كل محاولات القبض عليه رغم أنه كان يعيش متنقلاً بين العاصمة كابول وحولها .

محمد صديق شكري ( بشدة على الشين ) لا يزيد عمره عن ٢٦ سنة فقط ، ويجيد اللغة العربية لإجادة تامة فهو خريج الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، عاش في السعودية أربع سنوات طالباً ، كان أيضاً إحدى حلقات الاتصال بين المجاهدين الأفغان والسلطات السعودية .

والتقيت به في جبهة « جاجي » بقاب أفغانستان ، و في خيمته التي تقع وسط جبل كان لقائنا ، وصحبتني بعد ذلك لزيارة بعض المناطق المحررة في أفغانستان . وركزت حديثي معه على جهاده في كابول عاصمة الأفغان .

إنها مركز الحكم الشيوعي و الروسي ، من هناك يتحكمون في رقاب شعب أفغانستان ، محمد صديق شكري استطاع أن يصل إليهم ، بل و أن يعيش بينهم ويوجه إليهم ضربات موجعة دون أن يتألموا منه ، كيف تم ذلك ؟

وبدا حديثه معي قائلاً : لو كان الموت بيد الاتحاد السوفيتي أو الشيوعيين لقلت عشرات المرات ، ولكن الموت بيد الله ، وأجلى لم يمن بعد ، وابتسم المجاهد

بعد أن اقترب منه اشتد الضرب عليه بعد أن عرفهم بنفسه، ظن أنهم من أنصاره و اخطأرا باطلاق الرصاص عليه فأراد تفتيحهم، ورغم الرصاص المنهال عليه بغزارة استطاع الإفلات من الموت، للمرة الثالثة ذهب إلى مهر قريب ليستحم ويستريح، شاهده الجنود الشيوعيون من فرق تبة، أطلقوا عليه الرصاص من جديد، للمرة الرابعة أفات من ملك الموت بأعجوبة، و عندما عاد إلى معسكره الرئيسي لم يصدق أنصاره أنه حي يرزق، بكوا على الشهيد الحى الذى راوه أمامهم.

عوامل أخرى ساعدت المجاهدين الأفغان على توجيه ضرباتهم إلى الحكم الشيوعى و الاحتلال السوفيتى فى قلب العاصمة، من أهم هذه العوامل مساندة الشعب وتأييده للمجاهدين، ويقول محمد صديق شكري فى ذلك: أتق بأن النصر النهائى لنا، الله يرعانا، الشعب بكل طوائفه معنا، الناس العاديين كانوا خير سند لنا فى جهادنا داخل كابول العاصمة وما حولها، يمدوننا بالموثن اللازمة، يوفرول لنا المخابى اللازمة فى منازلهم وفى كل مكان، كم تحملوا من بطش الشيوعيين وإرهابهم من أجلنا، قرى بأكملها دمرت لأنها كانت تؤوى المجاهدين، منازل نسفت لأن أصحابها قدموا المساعدات لأهل الحق.

و من العوامل التى تبشر بالنصر النهائى للمجاهدين، انهيار الروح المعنوية لأعدائهم، آلاف من جنود الجيش الأفغانى فروا من الخدمة العسكرية، كثيرون انضموا للمجاهدين، العديد منهم تمرد على الأوامر بالبطش بالشعب الأفغانى، آخرها ما حدث فى سلاح الطيران مؤخراً حيث تمرد عدد من الطيارين على مهاجمة المناطق المدنية المحررة فى أفغانستان.

وقد أدى ذلك بدوره إلى انهيار الروح المعنوية لقوات الاتحاد السوفيتى، فهم قد علموا أن الذين جاؤا لمساعدتهم أناس بلا قضية مفروضة عليهم الحرب، بل إن الجنود السوفيت أنفسهم لا يرغبون أصلاً فى الذهاب إلى أفغانستان، قال لى محمد صديق شكري: إن أحد الجنود السوفيت وقع فى الأسر، أخبره أنه قد بذل المستحيل حتى لا يذهب إلى أفغانستان حتى إن أمه حاولت دفع رشوة للضابط الذى جاء لتجنيدته، وذهبت كل محاولاتها سدى.

( البقية على ص: ٩٧ )

# ALBAAS-EL-ISLAMI

## NADWAT-LU-ULAMA, LUCKNOW. (INDIA)

صدر حديثاً :

### صُورَتَانِ مِتْرِضَاذَاتَانِ

لتأنيح جهود الرسول الأعظم ﷺ الدعوية والتربوية وسيرة الجليل المثالي الأول .

عند أهل السنة و الشيعة الامامية

بقلم : سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي

هذا الكتاب يعرض وضع المجتمع الاسلامي الاول ( الذي كان حرس دعوة النبي ﷺ و تربيته وحده ) في ضوء التاريخ الموثوق به ، وبين النظام النبي الالهي لصيانة الصحيفة التي جاء بها الرسول الأعظم ﷺ ، وهو كتاب الله الأخير و الدستور الهام لحياة الانسان ، و في الكتاب محادثة عظيمة للوضع للفرق الاساسي بين المواقف التي يتخذها منشئ الحكومات ودعاة الانقلاب عن أمرهم و عائلاتهم ، و شأن رسول الانسانية ﷺ مع اقاربه و أسرته ، و أهل بيته ، مع بيان ما اتصف به أهل بيته و أسرته ، و من كان يتبعه ، من اخلاق و سمات يتبعون بها عن أسر العظماء و منشئ الحكومات ، ركادة التعريب ، و الوعاء ، و فيه اخوان على أهمية صيغة ، «وحدة النبي» ، و «خاتمة» ، التي أجمع عليها الأمة ، و الايمان بأنه هو الشارع و المطاع وحده ، منذ ظهور الاسلام حتى تقوم الساعة .

النشر : المجلس الاسلامي العلمي ( ندوة العلماء ) لكهنؤ ( الهند )